رواء
مجلة فكرية دورية
تصدر عن هيئة الشام الإسلامية

• انكفاء النُّخب والقيادات الدعوية
• مشكلة الشر:صخرة الإلحاد تحت المجهر
• طلب الآيات المحسوسة والإيمان بالغيب
• قراءة في كتاب: (الجناية على البخاري) للأستاذ مروان الكردي

صناعة العداء مع الإسلام: الإساءة للنبي ﷺ نموذجًا

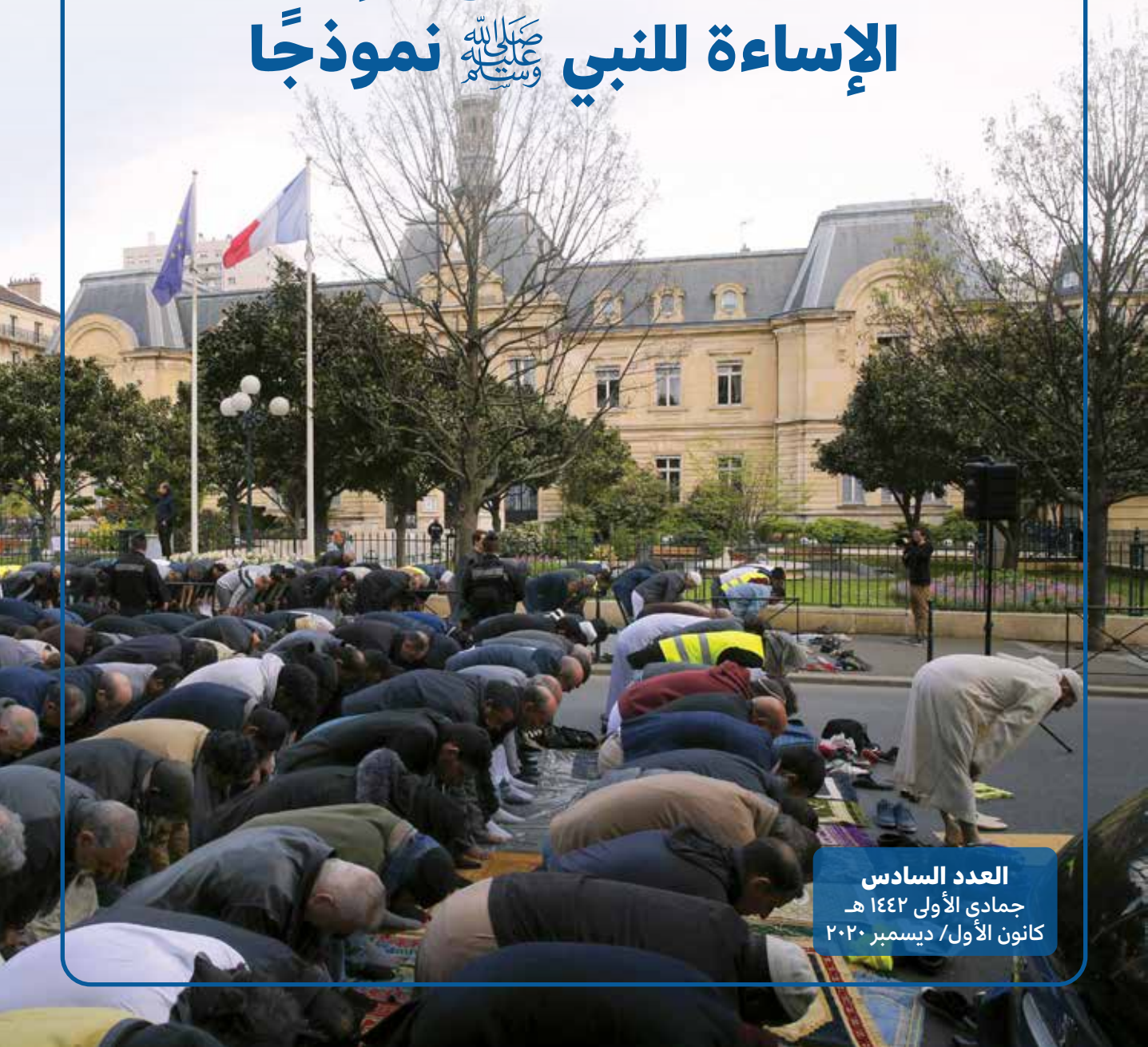

العدد السادس
جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ
كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٠

هذه المجلة

(رَواء) مجلة فكرية تُعنى بالإنتاج العلمي والدعوي والتربوي والاجتماعي، وتسعى أن تكون منارة في أرض الشام المباركة، تُشع بالعلم والمعرفة من خلال المجالات الآتية:

- الأصالة والانطلاق من ثوابت الدين والأمة، وتعزيزها في النفوس.
- بث القيم الحضارية وروح النهضة في المجتمع.
- تعزيز جانب الائتلاف وجمع الكلمة بين صفوف الأمة.
- إثراء الساحة بمقالات متميزة تلامس الواقع، في قضايا المنهج والتجديد والإصلاح.

ترحب مجلة رَواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

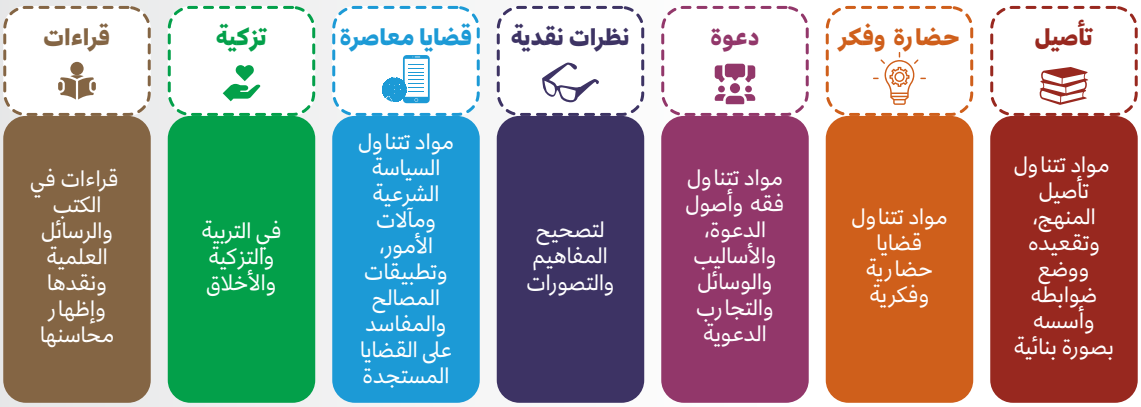

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

سياسات النشر في المجلة

١. تنشر المجلة المقالات التي تثري محاورها الأساسية.
٢. تلتزم المجلة سياسة التحرير الهادئة، وتجنب النقد الجارح وما يثير النزاعات والفتن.
٣. لا تنشر المجلة ما يجعلها طرفاً في صراعات دولية أو إقليمية أو محلية.
٤. يُحكّم المقالات الواردة للمجلة متخصصون في موضوعاتها.
٥. أن يكون البحث أصيلاً ومخصصاً للمجلة، ولم يُنشر في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم يقدَّم إلى أيّ جهة أخرى للنشر.
٦. تنشر المقالات بالأسماء الصحيحة والصريحة لأصحابها.
٧. تلتزم المجلة بإخبار الكاتب بقرارها من النشر أو عدمه خلال شهر من استلام المقال.

فهرس الموضوعات

صناعة العداء مع الإسلام: الإساءة للنبي ﷺ نموذجًا ٢
الافتتاحية

طلب الآيات المحسوسة والإيمان بالغيب ٨
د. جمال الفرا

أطروحات «فقه التغيير» بين فقهٍ متخصص وفكرٍ منضبط ١٣
أ. نبيل شبيب

إضاءات على الحوكمة في القرآن الكريم ١٩
م. جهاد بوابيجي

انكفاء النُّخب والقيادات الدعوية ٢٣
أ. وليد الرفاعي

مسألة رضا أهل الاختيار في ولاية العهد في كتب السياسة الشرعية ٣١
أ. محمد براء ياسين

إشارات منهجية في صحبة مدارج السالكين ٣٥
أ. أحمد سامر إيبش

مشكلة الشر: صخرة الإلحاد تحت المجهر ٤٠
م. عبد القادر معن

تزييف الوعي الدِّيني من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ٤٦
أ. محمد أمجد بن عبد الرزاق بيات

معالم في رواية الحديث الضعيف والاستشهاد به ٥٤
أ. محمود الزويد

قراءة في كتاب: (الجناية على البخاري) للأستاذ مروان الكردي ٦١
أ. عبد الملك الصالح

بأقلام القراء ٧٠

مثنى وفرادى ٧٢
د.خير الله طالب

رواء

مجلة رَواء
دورية فكرية تصدر مؤقتًا
كل شهرين عن
هيئة الشام الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة
د. خير الله طالب

أسرة التحرير

رئيس التحرير
د. عماد الدين خيتي

مدير التحرير
أ. ياسر المقداد

سكرتير التحرير
أ. محمود درمش

تكتب جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، وترسل إلى:
rawaa@islamicsham.org

rawaamagazine

www.rawaamagazine.com
www.islamicsham.org

صناعة العداء مع الإسلام: الإساءة للنبي ﷺ نموذجًا

لم تتوقَّف الإساءة للنبي ﷺ منذ ظهور الإسلام، واتّخذت في كل عصر طابعًا خاصًا بها، وفي العصر الحالي، عصر «الدعوة إلى الحرية، والتعايش الإنساني، والاحترام المتبادل»، تتكرر الإساءات للرسول ﷺ بطريقة مبتذلة، يتتابع عليها نخبة المجتمعات الغربية بأسلوب مستغرب، ولعل آخرها الرسوم المسيئة، وفي هذا المقال وقوف على هذه الظاهرة، ومحاولة للكشف عن أسبابها وأهدافها.

الشرارة:

في الربع الأخير من عام ٢٠٠٥م نشرت صحيفة دانماركية رسومًا مسيئة للرسول ﷺ، مما تسبَّب بموجة كبيرة من الاحتجاجات والدعوات لمقاطعة المنتجات الدانماركية في العالم الإسلامي، مع مطالبات للحكومة بالاعتذار، فرفضت متذرِّعة بحرية التعبير التي تتيح لمن شاء أن يقول ما شاء، وتحت ضغط المقاطعة اعتذرت الشركات الدانماركية الكبرى عن فعل الصحف المسيئة، وسلوك الحكومة غير المبالي.

كما أعادت صحف أخرى: نرويجية وألمانية وفرنسية، وأخرى في أوروبا وغيرها نشرَ ذات الرسوم في وقتٍ متزامنٍ دعمًا للصحيفة الدانماركية[١]، وتكرَّر الأمر لاحقًا مع صحيفة فرنسية أصدرت عددًا خاصًا للاستهزاء بالإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام عام ٢٠١١م، ثم نشرت مجموعةً أخرى من الرسوم المسيئة عام ٢٠١٢م، وفي مطلع عام ٢٠١٣م نشرت إصدارًا خاصًا وصفته بأنه الجزء الأول لسلسلة من الرسوم التي تزعم أنها تصور حياة النبي ﷺ، وكررت نشر الرسومات المسيئة بداية شهر سبتمبر أيلول من هذا العام والتي تلتها الأحداث الأخيرة المعروفة[٢].

> **تدلّ الأحداث على أنَّ الإساءة للنبي ﷺ عمليةٌ متعمَّدة ممنهجة، وليس أدلَّ على ذلك من تتابع الإساءات في توقيت متقارب، وتنوعها، ورفض التراجع عنها**

(١) المصدر: موقع BBC، قامت صحف إسبانية ومجرية ونيوزيلندية بنشر الرسوم المسيئة في ذات الفترة.
(٢) عدة تقارير من مواقع ويكيبيديا، وفرنسا ٢٤، والجزيرة نت.

أحداث تستحق الملاحظة:

بعيدًا عن مناقشة صحة الاحتجاج بحرية التعبير الذي تمارسه الحكومات الأوروبية تجاه الإساءة للمقدسات الإسلامية: هل يعد ضمن الحرية المقبولة أم لا؟! وإذا أهملنا مدى سريان هذا المبدأ على جميع المقدسات والمحترمات لدى مختلف الأديان والطوائف والأعراق الموجودة في الغرب وعلى رأسها الهولوكوست والتمييز العنصري، توجد أحداث وردود أفعال يحسُن أخذها بعين الاعتبار في السياق الغربي العام:

١. التضافر على الإساءة:

تدلّ الأحداث على أنَّ الإساءة للنبي ﷺ عمليةٌ متعمَّدة ممنهجة، وليس أدلَّ على ذلك من تتابع عدد من الصحف الأوروبية على نشر الرسوم المسيئة في توقيت متقارب، ومن ثمَّ قيام الصحيفة الفرنسية المذكورة بحمل راية الإساءة إليه ﷺ وتكرار ذلك بأشكال متعدِّدة (رسوم مسيئة، عدد خاص ساخر، إصدارات مسيئة، التعهد بمواصلة السخرية، ...).

٢. تنوع الإساءات:

إلى جانب ذلك توجد أحداث أخرى لا يمكن فصلها عن الرسوم المسيئة، كمسابقات لرسم صور مسيئة للنبي ﷺ في الدانمارك، وقيام قياديين في حزب يميني هولندي بإنتاج فيلم مسيء عام ٢٠٠٨م[١]، كما شهد عام ٢٠١٥م حوادث لحرق المصحف الشريف في أماكن متفرقة، أبرزها إسبانيا وفرنسا وهولندا، مرافقةً لمظاهراتٍ معاديةٍ للإسلام والمسلمين، وفي نهاية العام شهد مسجد بجزيرة فرنسية محاولة لاقتحامه وتخريبه وحرق بعض الكتب والمصاحف، وحصل اقتحام تخريبي بالفعل لمصلّى في الجزيرة نفسها عام ٢٠١٦م، وفي ٢٠١٧م في كاليفورنيا بأمريكا حصل اعتداءان في يومين متتاليين على مركز إسلامي ومسجد مع تمزيق المصحف وإهانته، وفي ٢٠١٩م أقدم رئيس أحد الأحزاب اليمينية المتطرفة بالدانمارك على إحراق المصحف احتجاجًا على أداء صلاة الجمعة أمام مبنى البرلمان، وفي العام نفسه جرت في النرويج محاولة لحرق المصحف في مظاهرة معادية للإسلام، وكان آخر هذه الحوادث واقعة حرق المصحف في «مالمو» بالسويد خلال شهر نوفمبر ٢٠٢٠م من قبل جماعة سويدية يمينية متطرفة[٢].

٣. ردود أفعال المسلمين مقابل الإساءات:

في المقابل عبَّر المسلمون عن رفض تلك الإساءات من خلال البيانات والفتاوى التي أصدرها النخب وأهل العلم، واستخدم عموم المسلمين سلاح المقاطعة الاقتصادية، وعمَّت المظاهرات العديد من البلدان، ونشط الكثيرون في مجال تعريف شعوب الغرب بسيرة النبي ﷺ، وحقيقة رسالة الإسلام بعيدًا عن تشويه الإعلام وعنصرية المبغضين، شعورًا منهم أن المسيئين ومن ينجرُّ خلفهم لا يعرفونه ﷺ، وأنهم لو عرفوه حق المعرفة لأحبُّوه[٣].

ولم يخرج عن هذا الموقف العام سوى:

- وقوع العديد من حوادث الانتقام من مرتكبي هذه الإساءات، كمقتل المخرج الهولندي ثيم فان غوخ عام ٢٠٠٤م وإطلاق النار على مكاتب الصحيفة الفرنسية ٢٠١١م، ثم تعرض ذات الصحيفة إلى اقتحام مسلَّح لمقرِّها بداية عام ٢٠١٥م، بالإضافة لعدة اعتداءات أدت إلى مقتل ٢٠ شخصًا في باريس وضواحيها، وأخيرًا مقتل المعلم الفرنسي الذي عرض على تلاميذه رسومًا كاريكاتيرية للنبي ﷺ، ثم حادثة الطعن بالقرب من كنيسة نوتردام في مدينة نيس الفرنسية نهاية أكتوبر المنصرم. وعلى عكس ردود الأفعال الشعبية العامة لم تلق هذه الحوادث الفردية الرضى والإقرار العام. مما أدى لترسيخ منهجية التعامل الصحيحة مع هذه الإساءات.
- ظهور النفاق: والذي تمثل بموقف العديد ممن كانوا يتشدَّقون بمبادئ الحرية والعدالة واحترام الآخر، ويزعمون الوقوف مع قضايا الأمة، فإذا بهم يقابلون تلك المواقف المسيئة للإسلام ورسوله ﷺ بالسّكوت المذلّ، أو التّبرير

(١) فيما بعد أسلم نائب رئيس الحزب (أرنود فان دور) وهو منتج الفيلم المذكور عام ٢٠١٣م، وحج واعتمر وزار قبر النبي ﷺ، وعبَّر عن أسفه وندمه الشديدين.

(٢) جميع هذه الأحداث معروفة، وأوردتها معظم المنصات الإخبارية، وصدرت ردود أفعال كثيرة حيال هذه الأحداث والاعتداءات.

(٣) واستشهدوا في ذلك بالعديد من الكتابات المنصفة التي أصدرها غربيون غير مسلمين، من خلال اطلاعهم ومعرفتهم اللصيقة بالإسلام والرسول ﷺ.

المخزي، أو التّهوين المعيب، فضلًا عن وقوف العديد منهم إلى جانب المجرمين والسخرية من رفض المسلمين لهذه الجرائم، وإلقاء اللوم عليهم بها، وبغضِّ النظر عن دوافعهم سياسيةً كانت أم فكرية، فمواقفهم تلك كشفت المزيد من سوءاتهم ونفاقهم.

> **من المبشرات في ثنايا هذه المحنة انتشار التعريف بالإسلام وبالرسول ﷺ بفضل جهود الكثير من المسلمين**

٤. الدخول في الإسلام والتعاطف مع المسلمين:

من المبشرات في ثنايا هذه المحنة انتشار التعريف بالإسلام وبالرسول ﷺ بفضل جهود الكثير من المسلمين، أو بسبب تساؤل الكثير من الناس عن هذا الدين وصاحبه، مما أدى لدخول أعدادٍ كبيرةٍ في الإسلام، وإلى تعاطف آخرين مع المسلمين، أذهلت النخب الغربية، وجاءت بعكس مقصودها من نشر تلك الرسوم[١].

٥. تصعيد المسيئين لمستوى جديد:

شهدت العديد من المواقف الغربية تصعيدًا في مواقفها ولم تكتف بالتذرُّع بحرية التعبير، وخاصة الموقف الفرنسي الذي وصل إلى حدِّ عرضِ هذه الرسومات على واجهات مبانٍ حكومية، مع التعهُّد بمواصلة نشرها، وإقرارها في المدارس، وتهديد المعترضين بالمساءلة القانونية والإبعاد عن البلاد، وهي المواقف التي تسببت بتصعيد الغضبة الجماهيرية الكبرى في أنحاء العالم الإسلامي ضد الحكومة الفرنسية، التي تكرّرت منها الإساءة للدين الإسلامي[٢].

> **في عام ٢٠١٥م أفاد أحد الدعاة في المركز الإسلامي بالدانمارك أن نسبة الداخلين في الإسلام من الدانماركيين بعد الحملات المسيئة للإسلام ارتفعت خلال السنوات القليلة الماضية ووصلت إلى أكثر من ٣٠٪.**

لماذا يسيؤون إلى نبينا ﷺ ومقدَّسات المسلمين؟

السؤال الذي يطرح في مثل هذه الأحداث هو: ما الذي تجنيه الدول الغربية وفرنسا بالتحديد من الإساءة لنبي الإسلام؟ ولماذا التواطؤ على هذه الإساءات المتتابعة؟ إلى حدِّ حمايتها ورعايتها من الدول؟

هناك عدَّة احتمالات للإجابة على هذا السؤال، وإذا استبعدنا هدف النيل من النبي ﷺ يبرز لنا احتمالان اثنان:

١. أن الأمر عندهم حرية تعبير مطلقة، لا يحدُّها حدود، ولا تضبطها ضوابط.

٢. إثارة غضب المسلمين واستثمار هذا الغضب.

هل هي حرية تعبير؟

أما مسألة «حرية التعبير»: فهي ليست مطلقةً كما يزعمون، فحرية التعبير في القانون الفرنسي مثلًا مقيدةٌ بالمنع من الإهانة العامة[٣]، وجاء على لسان أكثر من مسؤول في الاتحاد الأوروبي قولهم: إنَّ حرية التعبير يجب أن «تكون لها حدود»[٤]، كما أنَّ «حرية التعبير» هذه لها حدود معروفة عندهم وليست مطلقة؛ فقد كانت فرنسا من أوائل الدول التي تجرِّم من يشكِّك في «الهولوكوست»، وأقرّت قانون «غيسو» الذي يجرِّم إنكار «الهولوكست» أو مجرد التشكيك في أي من تفاصيله بحسب روايات الكيان الصهيوني، وكذلك الحال في بعض القضايا الشهيرة كالتمييز العنصري، بل وصل الأمر في فرنسا بأن أدانت محكمة فرنسية في ٢٠١٩م رجلين بتهمة «الازدراء» بعد أن أحرقا دميةً تمثّل ماكرون!! ويناقش البرلمان الفرنسي حاليًا قانونًا يجرّم «تداول صور المسؤولين على وسائل التواصل» مما جعل منظمة العفو الدولية تعتبره تناقضًا، وأنَّه «من الصعب التوفيق بين هذا التوّجه وبين دفاع فرنسا الشرس عن حق تصوير النبي محمد في رسوم ساخرة»، واعتبرت أن «مُعارضة الرسوم الكاريكاتورية لا تجعل المرء انفصاليًا، أو متعصبًا، أو إسلاميًا»، حسب ما ورد في بيان المنظمة[٥].

---

(١) في عام ٢٠١٥م أفاد أحد الدعاة في المركز الإسلامي بالدانمارك أن نسبة الداخلين في الإسلام من الدانماركيين بعد الحملات المسيئة للإسلام ارتفعت خلال السنوات القليلة الماضية لتصل إلى أكثر من ٣٠٪ عن السابق، نقلًا عن صحيفة سبق.

(٢) من أشهرها تصريح الرئيس الفرنسي: الإسلام ديانة تعيش اليوم أزمة في كل مكان في العالم.

(٣) ذكرته الوزيرة اليسارية السابقة سيغولين رويال في مقابلة لها على قناة سي نيوز الفرنسية.

(٤) جاء ذلك على لسان المستشارة الألمانية نقلاً عن قناة DW الألمانية.

(٥) موقع منظمة العفو الدولية، بعنوان: «فرنسا ليست نصيرة حرية التعبير كما تزعم».

الآثار المترتبة على الإساءات

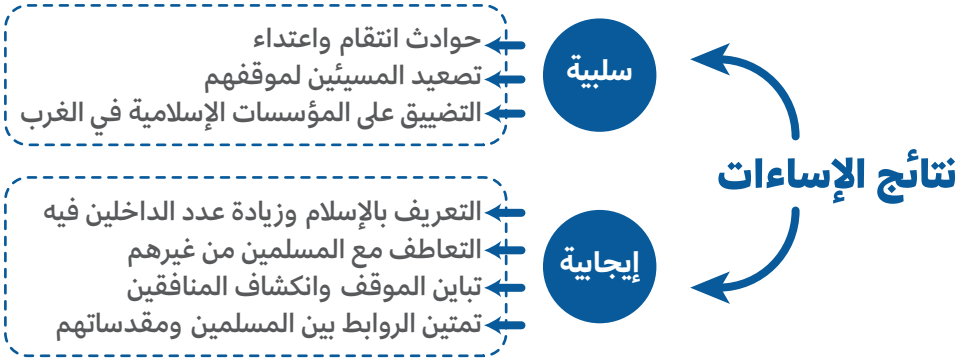

كما أنَّ العديد من المسائل الفكرية والاجتماعية والسياسية تضع لها الدول الغربية حدودًا، وتمنع الخوض فيها أو تناولها إلا وفق قوانين وضوابط عديدة.

وبهذا يظهر أن التذرُّع بمسألة حرية التعبير ليس إلا «شماعة» لتبرير الموقف.

فلم يبق إلا احتمال استهداف إثارة مشاعر المسلمين وغضبهم، فلماذا يتعمَّدون تكرار هذه الأفعال وإثارة غضب المسلمين؟ وماذا سيجنون من وراء ذلك؟!

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالنظر لتلك الدول ومجتمعاتها..

مع كل ما تعانيه الدول الإسلامية من ضعف وتخلف على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبالرغم ممّا أحدثه الغرب في بلاد المسلمين من دمار وتخريب هائل إلا أن الإسلام ما زال يشكل التهديد الحضاري الأكبر لتلك الدول حتى في عقر دارها، من خلال زيادة أعداد المسلمين فيها، واستمرار إقبال الناس على الدخول في الإسلام من أهلها؛ فجميع المؤشرات تؤكد أنَّ السياسي الغربي -والأوروبي خصوصًا- بات يشعر بالعجز أمام الدين الإسلامي الذي صار قاب قوسين أو أدنى من ابتلاع القارة العجوز بقوّته الروحية والمعنوية، ففضلًا عن مقولة (الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا) صارت الأرقام والإحصائيات تشير إلى الانسياب الإسلامي في القارة الأوروبية من جانبين: الجانب السكاني الديموغرافي، والجانب الديني التعبُّدي، مما يبشر بتغييرات اجتماعية ودينية ضخمة في المستقبل على المستوى المتوسط، وهذا هو ما يثير الذعر في أوساطهم[1].

وهذا التقدُّم الباهر للإسلام يثبت أنَّ الصراع الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ذات الجذور المسيحية إذا تكافأت فيه الفرص فالجولة للإسلام، يتقدَّم على أرضهم وبين جمهورهم المباشر.

ومن هنا تُفهم نداءات بعض القادة السياسيين والدينيين الأوروبيين محذرين من «الخطر الإسلامي»[2]، وإذا جمعنا إلى تكرار نشر الإساءة صعودَ اليمين المتطرف في أكثر من دولة في أوروبا والغرب، وتكرار حالات إهانة المصحف،

(١) ينظر: تقرير بعنوان: «مسلمو أوروبا يشترون الكنائس المغلقة لتحويلها إلى مساجد» على موقع وكالة الأناضول عام ٢٠١٦م، وتقرير: «مستقبل الإسلام في أوروبا (الكثافة السكانية الإسلامية)» من إنتاج هيئة الإذاعة البريطانية BBC. وتفريغ التقرير على موقع الألوكة.

(٢) أبرزها تصريحات لأحد القساوسة الفرنسيين في مؤتمر بفرنسا بداية عام ٢٠١٩م، قال فيه: (نحن الآن في أزمة ومعضلة كما كنا في عام ١٩٤٤م! ليست النازية هذه المرة ولكن ما هو أسوأ بكثير! إنها «فاشية» أخرى والتي قررت أن تغزو أوروبا. في الواقع هناك نوعان من الفاشية: الفاشية المالية و«الفاشية الإسلامية»! إنها الحقيقة! أنا أعرف جيدًا ما هو الإسلام ولقد عشته يوميًا. فرنسا ستصبح دولة مسلمة غدًا! هؤلاء الأطفال سيكونون مسلمين في المستقبل. هؤلاء الأطفال سيكبرون وسيكون الإسلام منتشرًا في كل مكان. الاسم الأكثر تداولًا للمواليد في بروكسل هو «محمد» أكثر من ٥٠٪ من المواليد «محمد» في بروكسل، وكذلك في أغلب مدن بريطانيا حاليًا وغيرها من الدول الأوروبية، والكنيسة هنا تراقب كل هذه الكوارث بكل برود وسذاجة، والكنيسة هنا تراقب كل هذه الكوارث من دون فعل أي شيء! ولكنني سأضع «خطة» سوف نبدأ غدًا، غدًا سنضع «خطة واستراتيجية للتغيير»!). والمقطع موجود على منصة يوتيوب.

والاقتحامات المسلَّحة للمساجد التي كان أشهرها هجومان إجراميان نفذهما يميني متعصِّب داخل مسجدي النور ومركز لينود الإسلامي في نيوزلندا عام ٢٠١٩م، إلى جانب حالات رفض المظاهر الإسلامية العامة والشخصية؛ كشركات اللحوم الحلال ومختلف أشكال اللباس المحتشم، فضلًا عن أداء صلوات الجمع والأعياد في الشوارع المحيطة بالمساجد المزدحمة، نجد أننا أمام حالة متقدِّمة من فوبيا الإسلام تعيشها جهات ومنظمات وربما حكومات في أوروبا.

فالإجابة عن الأسئلة السابقة تقودنا إلى وجود من يعمل على تحريض الأوروبي المتقبِّل للمسلمين والمتعايش معهم[1]، وإثارة حميَّته لدينه المهجور، وتكريس مشاعر العداء والرهبة من الإسلام ذي الثقافة والهوية المختلفة عن ثقافته، تلك الثقافة عالية التحصين، وغير القابلة للذوبان في المجتمعات الغربية، وتحشيد النفوس لبناء سور يحول بين شعوبهم والإسلام، والتنفير منه والصَّد عنه.

تكريس صورة نمطية سلبية:

ومما يرافق هذا التحريض والاستفزاز، خصوصًا عند حصول ردّات أفعال انتقامية مندفعة وغير محسوبة، استثمارُ الإعلام في وصف المسلمين أنهم لا يتحمَّلون «حرية التعبير»، بسبب رفضهم لمسائل الحرية، والحوار والنقاش، وإلباسهم لباس التخلُّف والعداء للإنسانية والفكر والتقدُّم والفن، مع استغلال بعض الحوادث هنا وهناك في الترويج لفكرة (الإرهاب الإسلامي) حتى دون التحقُّق من وجود علاقة بين هذه الأحداث وبين الإساءة الحاصلة، أو أنَّ مَن قام بهذه الاعتداءات هم مسلمون فعلًا، والهدف النهائي: إيجاد حالة من الرهبة والخوف من هذا المسلم ودينه، وبناء حاجز بينه وبين الإنسان الغربي، لعلَّه يؤخِّر أو يعيق انتشار الإسلام بينهم، كما كانت قريش تفعل لصدِّ الناس عن الدخول في الإسلام، حتى إذا تخلَّص الناس من المؤثرات واستمعوا لكلامه ﷺ انشرحت صدورهم وأقبلوا على دين الله ونور هداه.

> **قوة الإسلام ذاتية، وقابليته للانتشار إذا ما أتيحت الفرصة عالية جدًا؛ فهو يوافق الفطرة ويسكّن أحزان النفوس وحيرة القلوب، ويوافق العقل، ويحث على العلم، وينبي حضارة حقيقية**

نظرة مستقبلية:

هذه النتيجة وإن كان فيها بعض التخوُّف من مستقبل المسلمين في الغرب، إلا أنها تؤكد أمرًا لا يمكن دفعه، وهو قوة الإسلام الذاتية، وإجابته لنداء الفطرة، وتسكينه لأحزان النفوس وحيرة القلوب، وموافقته للعقل وحثِّه على العلم والحضارة، وقابليته للانتشار إذا ما أتيحت له فرصة الدعوة والإقناع، وقدرته على النفاذ حتى إلى أعتى المعاقل وأمنع الحصون، وليس أدلَّ على ذلك من إيمان امرأة فرعون في بيت أعتى طغاة التاريخ، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

وأنَّ عموم المسلمين محبون لدينهم ورسولهم، وفي مقابل هذه الأحداث يزدادون حبًا وحماسة للتعريف به ونشر دينه وسيرته، شاعرين بالاعتزاز والانتماء لهذا النبي العظيم ﷺ، متيقنين من أنَّ الغلبة لهذا الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأن الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومُظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد. ونظير هذا ما حدَّثناه أعدادٌ من المسلمين العُدول أهل الفقه والخبرة عما جرَّبوه مرّاتٍ مُتعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصرَ المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوا فيه.

(١) قال السياسي الهولندي أرنود فان دور (الذي أسلم بعد أن أخرج فيلمًا مسيئًا للإسلام) في مقابلة له مع صحيفة الرأي الكويتية عن دوافعه لإنتاج الفيلم: «كان سبب إقدامي على إنتاج هذا الفيلم مع مجموعة آخرين، هو ظننا وقتها أن الإسلام يشكل تهديدًا وأن له آثارًا سلبية على الحياة في أوروبا»، وعن الجهة التي دفعته لإنتاج الفيلم المسيء قال: «إن لوبيًا أميركيًا - إسرائيليًا نصح بإنتاج فيلم «فتنة» للتخويف من الإسلام».

ردود أفعال المسلمين تجاه الإساءات

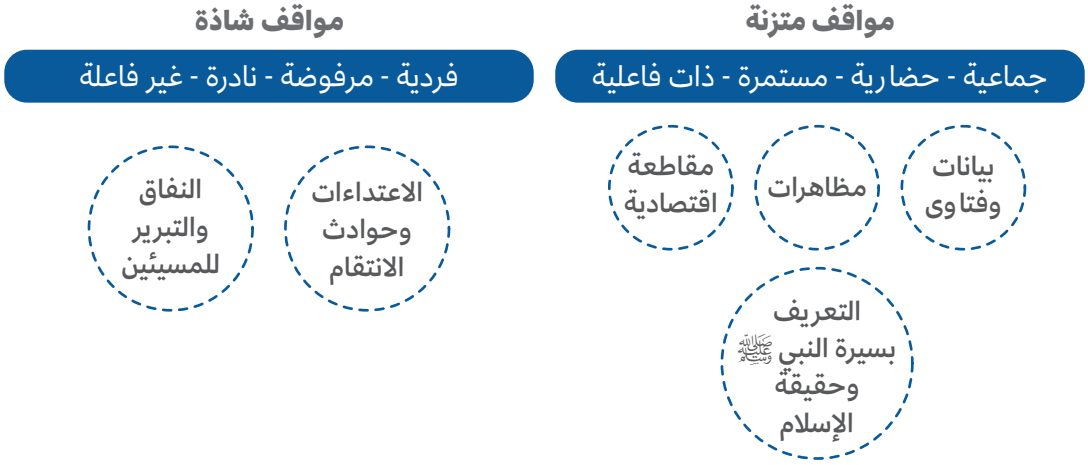

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات، أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين»[1].

وهنا بعض الأمور التي يحسُن بالمسلمين مراعاتها – خصوصًا من يقيم منهم في الغرب – في ظل هذه الموجة المتصاعدة:

١. مواصلة الدعوة إلى الله والتعريف بالنبي ﷺ مع كل إساءة، ومع كل استفزاز، وترجمة ما يمكن من المواد النافعة ذات النفَس الهادئ إلى اللغات الغربية، بل التأليف ابتداء بتلك اللغات لمن يستطيع ذلك ويمتلك الأهلية والملكة اللغوية، فالنبي ﷺ بُعث رحمةً للعاملين.

٢. الرَّد على الإساءات والتناقضات بالمنطق والحوار بالتي هي أحسن عبر جميع القنوات الممكنة والمتاحة، والتمسك بالحقوق العامة ومنها حقُّ احترام المقدَّسات ومنع الإهانة العامة، وعدم قبول إهدارها واللجوء للقانون الذي يكفل هذه المساحة ويحميها.

٣. عدم الانجرار خلف مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام التي تُخلِّفها الاستفزازات والإساءات المتكررة والممنهجة، وإبقاء ردود الأفعال في الحدود الحضارية الراقية المتماشية مع أخلاق الإسلام وأحكامه.

٤. توعية الشباب ومَن يمكن أن يصدر عنهم ردود أفعال متحمِّسة، بأن ما قد يقومون به سيُصدِّق الرواية الإعلامية المغرضة وما تحمله من تُهم الإرهاب والتطرف، وأنَّه لن يؤدي للدفاع عن النبي ﷺ، بل سيسيء إليه.

٥. ضبط الوضع القانوني والمالي للمشاريع الدعوية والمراكز الإسلامية والمساجد، وعدم ترك ثغرات تؤدِّي إلى إغلاق هذه المنشآت التي تحمل الخير الكثير للمسلمين وغيرهم تحت أي ذريعة.

٦. الاستعداد النفسي للمزيد من التصعيد والإساءات والتضييق التي يراد منها إثارة غضب المسلمين في قابل الأيام، والصبر على ما قد ينالهم وعدم تقديم تنازلات على حساب الدين، مثل خلع الحجاب أو قبول الإساءة أو مجاراة الخطاب الإعلامي السائد برمي تُهم الإرهاب على المسلمين.

٧. الاستمرار في استخدام وسائل القوة التي تملكها الشعوب المسلمة، ومن أقواها سلاح المقاطعة الاقتصادية، وإدراك قوته وتأثيره الكبيرين.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١]

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية (٢/٢٣٣-٢٣٤).

طلب الآيات المحسوسة والإيمان بالغيب

د.جمال الفرا (*)

تواجه الأمة تياراً كبيراً من الانحراف والإلحاد، مما يدفع بالبعض أثناء مواجهة ذلك إلى التكلُّف في الرّبط بين الظّواهر الكونية والنصوص الشرعية دون ضوابط، والإغراق في طلب الآيات المحسوسة إلى حدِّ إغفال منزلة الإيمان بالغيب، وهذا يحدو بنا إلى مشروعية هذا الطلب وأنواعه وأسبابه، وهو ما سيتناوله المقال الذي بين أيدينا.

مدخل:

تعاني الأمة الإسلامية اليوم من ضعفٍ وتأخُّرٍ عن ركب الأمم في العلوم الدنيوية، وقد أدّى هذا – عند بعض الناس– إلى شعور بالهزيمة النفسية أمام تلك الأمم، ومن آثارِ تلك الهزيمة: تحفيزُ فكرة التحدِّي لإثبات صحة تعاليم الإسلام والردِّ على الشُبهات التي أُلصقت به، فظهر فريقٌ يعتمد في قراءة النصوص وتحليلها على العدول عن أصل التَّسليم بالغيب إلى التأويل العقلي، ولَيِّ معاني النصوص لتوافق المنهج العقليَّ في الاستدلال.

كما أنَّ العديد من عامّة الناس وبعض طلبة العلم لديهم مُغالاة في طلب الآيات المحسوسة، وهم إنّما يطلبونها ليُقوُّوا بها إيمانهم، أو يزيدوا بها عاطفتهم الدينية فيَشعروا بحلاوة الإيمان ولذّة الطاعة.

والمقصود بطلب الآيات المحسوسة: محاولة إدراك أدلة في عالم الشهادة للدلالة على صحة ما أمرنا بالإيمان به من الغيبيات.

الإيمان بالغيب هو أصل الإيمان بالله:

الأصل في إيمان المسلم تسليمُه بالغيب لله، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣]، فالإيمان بالغيب أول ما تنعقد عليه القلوب ويتميز به المؤمن، وهو أصلٌ في قضايا الإيمان الكُلية.

أما طلبُ الآيات المحسوسة وجعلها مرتكزًا للإيمان ففيه مضاهاةٌ لحال المشركين في طلبهم للآيات ليبرروا بها كفرهم، وقد ورد في القرآن الكريم طلبُ بني إسرائيل للآيات المحسوسة على

(*) داعية وخطيب.

سبيل الذم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

مع أنَّ تقوية الإيمان بإدراك الآيات ومعايشتها أمرٌ مقبول حينما يبقى ضمن حدود الشعور؛ ولا ينتقل إلى جعل طلب الأمور الخارقة المحسوسة هي الأصل الذي يبني عليه المرء إيمانه، فمن تخيَّل وجود الملائكة معه عند الذكر والتلاوة فازداد إيمانًا ليس كمن زعم أنه رأى صورًا تكلمه أو تحمله في الهواء؛ فإنّ طلب المحسوسات مما لا سبيل لحصوله لغير الأنبياء، وهو من أمور الغيب التي لا تُعرف إلا عن طريق الوحي الذي انقطع بموت النبي ﷺ، ومثال ذلك ما كان لنبي الله إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فإبراهيم عليه السلام كان مؤمنًا راسخًا في إيمانه، وإنما سأل لطرد الخواطر الطارئة على قلبه كي لا تعلق به.

> **عالَم الغيب وعالَم الشهادة ضدّان يعيش الإنسان بينهما في رحلة حقائق يدل عليها دليل شرعي أو عقلي فيأخذ به المسلم، أو أوهام تتسرَّب إلى ذهن الإنسان فيتعلق الجاهل بها**

منزلة الإيمان بالغيب:

الإيمان بالغيب سمة العقلاء، وعليه تُبنى حقائق الإيمان وكلياته، وهو القاعدة التي يرتكز عليها الإيمان بالأركان الستة، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر؛ إيمان بالغيب، وأهلية الأداء في الإنسان مناطها (أي محلها) العقل، والعقل لا يكون سليمًا إلا بالإيمان بالغيب، فمن أنكر وجود أمور غائبة عن إدراكه ليس عاقلاً[1]، وأهلية الوجوب مناطها وجود الإنسان، ووجود الإنسان من عالم الشهادة.

وعالَم الغيب يقابله عالَم الشهادة، فهما ضدان يعيش الإنسان بينهما في رحلة الحقائق والأوهام، حقائق يدل عليها دليل شرعي أو عقلي فيأخذ به المسلم، أو أوهام تتسرب إلى ذهن الإنسان فيتعلق الجاهل بها.

قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣] أي: عالِم ما تعاينون أيها الناس فتشاهدونه، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه[2].

وما زال الإنسان يتشوّف إلى معرفة عالَم الغيب من خلال الانتقال إلى عالم الشهادة في مختلف مجالات الحياة عبر الاكتشاف والاختراع، والبحث والتنقيب، والارتحال لكسب المعرفة، فيحظى بجزء من المراد؛ كاستكشاف علوم الطبيعة والفضاء ونحوها، ويتطاول في سبيل إدراك ما غاب عنه مما لا سبيل إليه كمحاولات الاطلاع على الغيب لدى الكهنة والعرافين، فيبذل المال والجهد، ليجد نفسه أمام أسرار لا يستطيعُ الاقتراب من عتباتها، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٩٥].

إنَّ استعمال أدوات البحث الدنيوية لاستكشاف الكون وسننه أمر مهم، وأهم منه استعمالها في جانب التديُّن وزيادة الإيمان وتعظيم الخالق، ليَعبُر بها من جانب عالَم الشهادة إلى عالَم الغيب للإقرار بفقر وعجز الإنسان، والناس يطلبون هذه الأدوات تارة على سبيل التحدي، وتارة على سبيل الفضول، وتارة لينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، ولكن الخلل في إغفال سُنن ونواميس الكون في طلب البراهين والأدلة والانتقال إلى الأوهام والخرافات وجعلها هي الدليل إلى عالم الغيب، ويظهر هذا جليًا فيما ينتشر بين الناس من أحوال خوارق العادات التي ينسبها أصحابها للعلوم

(١) قال سيد قطب رحمه الله: «والإيمان بالغيب هو العتبةُ التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيّز الصغير المحدَّد الذي تُدرِكه الحواسُّ -أو الأجهزة التي هي امتدادٌ للحواس- وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله، ولحقيقةِ وجوده الذاتي، ولحقيقة القُوَى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس مَن يعيش في هذا الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمَن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته...». وقال: «لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرِق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالمِ البهيمة، ولكن جماعة الماديّين في هذا الزمان -كجماعة الماديين في كل زمان- يُريدون أن يعودوا بالإنسان القهقَرَى، إلى عالم البهيمة الذي لا وجود فيه لغير المحسوس، ويسمون هذا (تقدمية)، وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها، فجعل صفتَهم المميزة صفة {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: ٣]، والحمد لله على نعمائه». في ظلال القرآن (١/ ٣٩-٤٠).

(٢) تفسير الطبري (١١/٤٦٤).

الشرعية تارة كمن يزعم أن آثار انشقاق القمر رآها رواد الفضاء، أو ينسبونها لأشخاص يحبونهم تارة أخرى كمن يزعم أن مَن يقدِّسُه يعلم وقتَ موته.

قد تظهر بعض الحقائق المحسوسة المؤيدة لإيمان العبد بالغيب دون طلبها، وظهور هذه المحسوسات لا يدل على مشروعية طلب الآيات بالجملة، ولا على صحة ما ابتدع، فحصول النتيجة لا يدل على صحة الوسيلة

طلب الآيات وتعليل الأحكام التعبدية:

تعليل الأوامر والأفعال التي تعبدنا الله بها تعبدًا محضًا لا علة فيه، وربطُها بأمر محسوس، كالزعم بأنّ السجود شرع للتخلص من شوائب الدماغ أو لتفريغ الشحنات الزائدة ونحو ذلك هو نوع من «طلب الآيات»، وتشويش على مفهوم التعبد الخالص لله تعالى، وكذا من يبالغ في تعداد منافع الصوم الصحية... وهكذا بقية العبادات.

وقد تظهر بعض الحقائق المحسوسة المؤيدة لإيمان العبد بالغيب دون طلبها، كمن يشفيه الله بسبب فعل عبادة كالصوم، وقد يُستجاب دعاؤه عند ابتداع عبادة ما، وظهور هذه المحسوسات لا يدل على مشروعية طلب الآيات بالجملة، ولا على صحة ما ابتدع، فحصول النتيجة لا يدل على صحة الوسيلة.

طلب الكرامات وطلب الآيات:

إنَّ طلب الآيات المحسوسة أشبه بطلب الكرامات[1] لدى فريق من الناس؛ حيث يبقى أحدهم مقيمًا على الطاعات قاصدًا بها حصول خوارق العادات نتيجة لطاعته، وكان من كلام السلف (كن طالب استقامة ولا تكن طالب كرامة؛ فإن الاستقامة عين الكرامة) فلا يصح للمسلم طلب الكرامة -وهي الأمر المحسوس- لذاتها، بل هي أمر قد يجريه الله على يد عبد ظاهر الصلاح، تأييدًا للمسلم وتثبيتًا له في طاعته وقت ما يشاء، وليست لازمة لكل صالح، ولا يعد تخلفها دليل عدم صلاحه.

طلب الآيات في عهد النبوة:

ورد في القرآن الكريم الإخبار عن بعض ما طلبه المشركون من الآيات؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]، فقد طلب المشركون الآيات من رسول الله ﷺ على سبيل التحدي والمعاندة، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قالت قريش للنبي ﷺ: ادعُ لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك. قال: (وَتَفعلونَ؟) قالوا: نعم قال: فدعا، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أُصَبِّحُ لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة؟ قال: (بل باب التّوبة والرّحمة)[2]، وهذا يدل على كمال شفقة النبي ﷺ ورحمته بالناس؛ فاختار باب التوبة والرحمة خشية عليهم من العذاب.

انتشر استخدام طلب الآيات المحسوسة باسم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مع التفلُّت من ضوابطه التي نصَّ عليها أهل العلم، وحقيقة هذا الفعل: استخدام العقل المجرَّد في فهم النصوص من غير نظر في كلام المفسرين والشُرّاح

تنوُّع طلب الآيات في هذا العصر:

إذا كان تعلق العوام بخوارق العادات والآيات المحسوسة لتقوية الجانب الروحي لديهم، قد يوصل إلى حد توهم وجود هذه الخوارق، فينظر أحدهم إلى شجرة منحنية ليعتبر ذلك سجودًا منها، أو إلى رغيف خبز فيتخيل أنه كُتب على وجهه لفظ الجلالة، فإن بعضَ الدعاة يستخدم بعض الظواهر العلمية ويربط بعض الأحداث الكونية بالإسلام -ويتكلف في هذا الربط- ويخترع علاقة بين هذه

(١) الكرامة: «ظهور أمرٍ خارقٍ للعادةِ من قبل شخص غير مقارنٍ لدعوى النبوة». ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص (١٨٤).
(٢) أخرجه أحمد (٢١٦٦).

الظواهر وتفسير بعض الآيات القرآنية باسم الدعوة إلى الله، وكثيرًا ما ينتشر هذا الاستخدام في دعوة غير المسلمين للدخول في الإسلام.

ولعل أقل ما يُحمل عليه فعلُهم من الخطأ أن المدعو يربط إيمانه بهذه الظواهر فإذا تبين له خلاف ما تعلَّم نكص على عقبيه.

كما انتشر بين بعض الدعاة استخدام هذا الأسلوب باسم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، مع التفلُّت من ضوابطه التي نصَّ عليها أهل العلم، وحقيقة فعلهم: استخدام العقل المجرَّد في فهم النصوص من غير نظر في كلام المفسرين والشرّاح.

وهذا التوجُّه نحو طلب الآيات وعرضها باسم الإعجاز له أسباب، منها: ضعف سُلطة علماء المسلمين الربانيين، والتصدِّي لهذا الأمر ممن ليس أهلًا له، مع ضعف الجانب العلمي، وعدم الأخذ من العلماء الراسخين، وعدم الرجوع إلى قواعد التفسير والعقيدة وكلام أهل الاختصاص في ذلك، ورغبة عوام المسلمين في إظهار هذا الدين.

وقد انساق مع هذه الموجة أفاضلُ نَحَوا منحى التفسير العقلي البعيد عن الغيب للعديد من الآيات الغيبية، ومن ذلك:

- تفسير قوله تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ بمعنى طلع وانتشر نوره[1]، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر.
- تفسير (السِّجِّيل) الذي أصاب أصحاب الفيل في قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ بالأمراض والأوبئة، «وفي اليوم الثاني فشا في جند الجيش داء الجدري والحصبة، قال عكرمة وهو أول جدري ظهر في بلاد العرب، وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث: إن أول ما رُؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام، وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين، وأصيب الجيش»[2].

يتكلَّف بعض الدعاة في الربط بين بعض الأحداث الكونية والآيات القرآنية؛ فيخترع علاقة أو تفسيرًا يستخدمه في الدعوة إلى الإسلام، مما يؤدي لربط الإيمان بهذه التفسيرات، فإذا تبيَّن لاحقًا خلاف ذلك كان من أسباب النكوص

(١) ينظر: مجلة المنار (٣٠/ ٢٦٢).
(٢) الأعمال الكاملة، للشيخ محمد عبده (٣/ ٤٧٣).

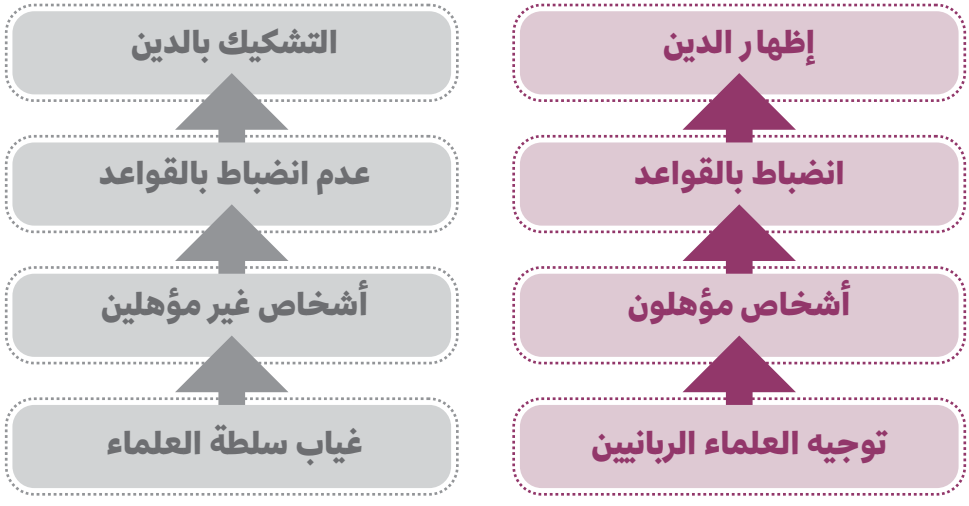

وهذا الوجه في تأويل الغيبيات القطعية للمعجزات يتوافق مع البحث عن المعاني الظنية لإلباسها ثوب المعجزة، كما سار على دربه أشخاصٌ اشتهروا إعلاميًا تحت مسمى التفسير العلمي للقرآن.

كما يلحق بهذا المسار ربط معاني النصوص بالفرضيات العلمية الحديثة وأوضح مثال عليه: (تفسير الجواهر) للشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله.

كفاية الآيات التي دلنا عليها الشرع:

المسلم تكفيه الأدلة التي أشار إليها القرآن الكريم للدلالة على القضايا الغيبية الكلية، فالقرآن الكريم يوجهنا إلى النظر في آيات الله المبثوثة في الكون والتي تأتي وفق السنن الكونية وهي أولى بتثبيت المؤمن وتحقيق صريح الإيمان والشعور بحلاوته، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، والنظر في دقائق الآيات الكونية وسنن الله التي أودعها فيه غنية عن طلب الخوارق والتكلف لاستجلابها.

ومما خص الله به هذه الأمة دون الأمم السابقة أن جعل آيتها الكبرى ومعجزتها الخالدة هي الذكر الحكيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلَق على كثرة الردّ، قال تعالى: ﴿وقالَ الَّذينَ لا يعلمُونَ لولَا يكلِّمُنا اللَّهُ أَو تأتِينَا آيةٌ كذَلكَ قالَ الَّذينَ من قَبلِهِم مِثلَ قَولِهِم تشَابَهَت قلوبُهُم قَد بيَّنَّا الآياتِ لقومٍ يُوقنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]، وتبيين الآيات هو: ما جاء من القرآن المعجز للبشر الذي تحدى به جميعهم فلم يستطيعوا الإتيان بمثله[1]، وقال رسول الله ﷺ: (ما مِن الأنبياء من نبيٍّ إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمنَ عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[2].

إنّ أبناء الأمة الإسلامية اليوم وهم يواجهون تيارًا كبيرًا من الإلحاد والانحراف العقدي، والطعن والتشكيك في مسلّمات هذا الدين، بحاجة إلى تعميق مفهوم الإيمان بالغيب والتسليم لما ورد من الحقائق الإيمانية، إلى جانب إظهار السنن الكونية القطعية، وإعمال فريضة التفكير والنظر في آيات الله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الشورى: ٤٦].

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٦٩١/١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (٢٣٩).

أطروحات «فقه التغيير» بين فقهٍ متخصص وفكرٍ منضبط

أ.نبيل شبيب (*)

عُرِّف «فقه التغيير» في الماضي بعناوين عدّة، ثم ازداد طرحه مع انطلاق المسارات التغييرية الحديثة، فكان مجالاً واسعاً للاجتهاد الذي تناول تحرير مفاهيم الاحتجاج والتغيير والتمكين والأمة الوسط، ونتيجة لذلك ومن أجل تأطير ما يطرح في هذا الباب، ازدادت الحاجة لاستنباط ضوابط مستمدة من المقاصد والأصول التشريعية، مع اعتماد عنوان لا يعيق العمل في مآل الاجتهادات

الحاجة كبيرة إلى دراسات محكمة وبحوث منهجية حول موضوعٍ مِن قبيل ما ينوه له تعبير «فقه التغيير»، أي من خلال استخدامه بما يتجاوز المعنى اللغوي للفهم والعلم والتدبر، إلى ما أصبح غالبًا عليه في نطاق استخدام التعبير في العلوم الشرعية. والحاجة إلى دراسات وبحوث لا تتضارب مع طرح أفكار وخواطر في حدود مقالة، قد تساهم في صياغة تساؤلات أساسية بصدد ما يرجى من مسارات لتلك الدراسات والبحوث، عسى أن تتفاعل مع متطلبات عصر لم تشمل خصائصه المتشعبة تسارعًا بوتيرة متصاعدة فحسب، بل شملت أيضًا – وهذا أهم وأخطر – تشابكًا متضخمًا ومعقدًا في متطلبات التطور على كل صعيد فكري وعملي، ومن دون مراعاة ذلك يصعب تحقيق أهداف كبيرة في مجالات مؤثرة على واقع الإنسان ومستقبله، من حيث الواجبات والمسؤوليات والأداء والإنجاز.

كتابات أولية:

غالبًا ما وجدت أطروحات العمل الإصلاحي والدعوي والحركي عبر أكثر من قرنين تصنيفها في باب التغيير ومساراته من منطلق إسلامي، هذا معروف ولكنه غير مقصود هنا بالقول: ليس جديدًا ما طرح ويطرح تحت عنوان «فقه التغيير» تحديدًا، وإن كانت البداية لذلك قبل عقود من انطلاقة مسارات التغيير الثوري أواخر عام ٢٠١٠م.

(*) باحث إسلامي، وصاحب موقع «مداد القلم».

إن تأطير فكر التغيير تحت عنوان فقه التغيير ليس من قبيل ردود الأفعال بل من قبيل الحاجة الناتجة عن واقع متغير باستمرار

بتعبير آخر:

إن سعي الأقلام ذات المنطلق الإسلامي لتأطير فكر التغيير تحت عنوان فقه التغيير ليس من قبيل ردود فعل على أحداث بعينها، بل هو نتيجة واقع متغير باستمرار، أثار تدريجيًا الإحساس بالحاجة إلى «تأطير فعل التغيير» على مختلف الأصعدة.

ربما كانت النشأة الأولى لطرح منهجي قبل نصف قرن أو أكثر، مع التركيز على «التغيير الحضاري» الأشمل من سواه، وتوجد أمثلة عديدة على ما اشتهر من ذلك، أولها على الأرجح ما ورد متفرقًا تحت عنوان (النهضة) في كتابات مالك بن نبي رحمه الله، وقد وجد بعضها طريقه إلى كتاب «فقه التغيير في فكر مالك بن نبي» مما صنّفه عبادة عبد اللطيف، ونشرته «مؤسسة عالم الأفكار» الجزائرية عام ٢٠٠٦م، إنما لم يجد تداولًا واسعًا، ومن العسير الحصول عليه حاليًا.

ومن الصيغ المتميزة ما طرحه الدكتور طارق سويدان عام ٢٠١١م تحت عنوان «مشروع التغيير الحضاري»، وتناول فيه فهم الواقع والرؤية الذاتية له، ثم آليات الانطلاق في عملية التغيير الهادف والتدريبات العملية لها، وقد جمّد العمل بالمشروع عام ٢٠١٤م.

بدأ استخدام تعبير «فقه التغيير» لأول مرة على وجه الاحتمال في منتصف تسعينات القرن الماضي ثم انطلقت الموجة التالية من الكتابات حوله تزامنا مع انطلاقة المسارات التغييرية عام ٢٠١١م

ومن الأمثلة التي ربطت التغيير الحضاري باجتهادات فقهية ما جمعه كتاب «المنهج النبوي والتغيير الحضاري»، تحرير برغوث عبد العزيز مبارك، وقد صدر عام ٢٠١٥م في سلسلة كتاب الأمة عن رئاسة المحاكم الشرعية في الدوحة، ويلمس محتوى الكتاب التأطير الفقهي في أكثر من موضع، مثل ما ورد في الفصل الأول تحت عنوان جانبي «طبيعة الجهد النبوي من الوجهة الحضارية»، وفي الفصل الثالث «المنهج النبوي كمركّب حضاري».

أما استخدام تعبير «فقه التغيير» تحديدًا فكان لأول مرة على وجه الاحتمال عام ١٩٩٥م عنوانًا لكتاب «من فقه التغيير - ملامح من المنهج النبوي» بقلم عمر عبيد حسنة، وقد صدر عن المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، وذلك بعد أن طرح المؤلف رؤيته في كتاب «رؤية في منهجية التغيير» الصادر عام ١٩٩٤م في بيروت عن الدار العربية للعلوم - ناشرون والمكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

وانطلقت الموجة التالية من الكتابات حول «فقه التغيير» مع انطلاقة المسارات التغييرية عام ٢٠١١م، ومن أمثلة ذلك:

«فقه التغيير» بقلم د. علاء عبد العزيز، صدر عام ٢٠١١م عن دار النشر للجامعات، في القاهرة، ويشرح الكاتب في المقدمة ما يعتبره فترة التغيير قبل التمكين، أي الفترة الممتدة من اللحظة الآنية إلى انتشار العدل كسمة غالبة في ديار المسلمين.

مجموعة كتابات د. أحمد الريسوني حول الاحتجاجات وحركات التغيير منذ عام ٢٠١١م وقد صُنفت في كتاب «فقه الاحتجاج والتغيير» الذي صدر عام ٢٠١٣م عن دار الكلمة للنشر والتوزيع في القاهرة، ويشمل ما كتبه الريسوني حول الحركة الاحتجاجية في المغرب والتحركات الثورية التي انطلقت من تونس وشملت سواها.

مقالة بعنوان: قراءة في «فقه التغيير» من وحي الأحداث الأخيرة، بقلم الباحث نبيل الفولي نُشرت في شبكة الجزيرة، يوم ١٦/٤/٢٠١٥م، وركزت على مناقشة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع نقد الوقوف عند النظرة الفقهية وحدها.

ومثال أخير: «فقه التغيير وبناء الأمة الوسط» بقلم د.المثنى عبد الفتاح محمود، من إدارة البحوث والدراسات الإسلامية في الدوحة، وقد صدر الكتاب عام ٢٠١٦م، إنما يستند إلى سلسلة أطروحات سنوية سابقة، تناولت التغيير الحضاري في إطار شمل العديد من ميادين الدعوة، وركزت على أهمية الانطلاق من تحرير المفاهيم ثم التركيز على الأمة الوسط.

> **هناك انطباع عام أن الدعوة إلى إحياء الاجتهاد واستئناف عصوره الماضية، قد وجدت الاستجابة بولادة «فروع» فقهية جديدة مثل فقه الأولويات وفقه الواقع وفقه التغيير، لكنه انطباع غير كافٍ للتعبير عن الواقع**

حول منهجية التنظير الفقهي:

من المستجدات في العقود الماضية عنونة اجتهادات وأطروحات فكرية إسلامية باستخدام كلمة «فقه»، وهي ذات مكانة خاصة في الوعي المعرفي الإسلامي، صادرة عن موقع علم الفقه بين العلوم الإسلامية، وتطبيقها على مستوى الأفراد والمجتمعات. هذا مما ينشر الانطباع لدى عموم المسلمين أن الدعوة إلى إحياء الاجتهاد واستئناف عصوره الماضية، قد وجدت الاستجابة بولادة «فروع» فقهية لم تعرف في العصور الأولى من تاريخ التشريع الإسلامي، مثل فقه الأولويات وفقه الواقع وفقه التغيير، وليس هذا كافيًا ليكون الانطباع معبرًا عن واقعنا.

قد لا يضير كثيرًا اعتبار ما ينشر كدراسات فقهية منهجية تحت عنوان فقه التغيير (وكذلك فقه الأولويات وفقه الواقع..) فرعًا فقهيًا قائمًا بذاته أم لا، لا سيما وأن من يبحثون تحت هذه العناوين يشيرون نصًا أو ضمنًا إلى أن الأسس والمنطلقات لاستنباط الأحكام موجودة على كل حال في التوجيهات والتطبيقات من العصر النبوي وفي عصور التشريع الأولى، إنما يقتصر العمل الجديد على نظرات «فكرية اجتهادية» تشمل استخراج تلك التوجيهات والمنطلقات وربطها ببعضها بعضًا، وبالمستجدات من الواقع المعاصر، وهذا ما يكوّن تدريجيًا «فروعًا فقهية» مستقلة عن سواها.

وهنا يستحسن التساؤل، هل نعزو هذا «التطور الفقهي» إلى:

١. منهجية الانطلاق من الفقه نفسه كعلم مستقر، فالاقتناع بضرورة إضافة فروع مستحدثة لتلبية احتياجات وتطورات جديدة، أم إلى:

٢. آلية تحريرية تنطلق من رغبة ذاتية لإعطاء أطروحات فكرية جديدة صبغة إسلامية عبر توظيف مصطلح «الفقه» لتأكيد تلك الصبغة؟

يوجد في واقعنا المعاصر أمور مختلفة متعددة يستدعي البحث فيها سلوك أحد السبيلين أو كليهما، إنما ترتبط قيمة النتائج بأن يكون الاختيار مستندًا إلى خصائص المادة المقصودة واحتياجات التعبير عنها، وليس إلى مظهر لفظي إذا صح التعبير.

ودون أي تعريض بمقاصد من يركّز على آلية التوصيف حسب مصطلحات إسلامية الصبغة، فالواقع أنه يحصر كلمة «إسلامي» دون قصد في إطار ما يوصف بالتراثي، علمًا بأن الإسلام نفسه أوسع من ذلك وأشمل، ومكمن قوته في دراسات مقارنته بسواه، ظاهر في القدرة على العطاء المتجدد انطلاقًا من مصادره الأولى لكل عصر وكل مكان بما يشمل قابلية التفاعل مع كل حال، فهو لا يندثر بمرور الزمن، ولا يندثر بحصره في مجال دون مجال أو مكان دون مكان.

المادة المقصودة بالبحث هي فيما تطرحه هذه المقالة: عملية التغيير، ولنتأمل على ضوء ذلك بالمنظور الفقهي أن كلمة العبادة تشمل كل أبواب الطاعات، ومنها مثلًا العلاقات الأُسرية، ولكن لا تصنف هذه العلاقات فقهيًا تحت عنوان عبادات بل عناوين خاصة بها، فنتحدث تحديدًا عن فقه الزواج وفقه الطلاق وما شابه، ومعظم ذلك ثابت بأصوله الفقهية، كما هو الحال مثلًا مع اعتبار الزواج محصورًا في زواج الذكر والأنثى، وهنا لا تسمح المنهجية الفقهية بتعديل أحكام فقهية قديمة بدعوى ما طرأ من مستجدات في العلاقات البشرية، كما هو الحال مع بعض التفاصيل، مثل كيفية تحقيق الإشهار شرعًا وقانونًا في عصرنا الحاضر.

> **غالبية من تناولوا «فقه التغيير» من منطلق إسلامي، وجدوا أن المحتوى الذي وصلوا إليه يرتبط مباشرة بعملية التغيير «قليلاً» فلجؤوا إلى ربط معظم ما ورد في اجتهاداتهم بعناوين كبرى مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الأمة الوسط.**

شبيه ذلك يسري على جانب ولا يسري على جوانب أخرى من عملية «التغيير» بالشروط الإسلامية فهو عبادة أيضًا بالمفهوم العام لكلمة عبادة، وفقهيًا تسري عليه المقاصد والثوابت

الكلية، أما عند اختيار عناوين فقهية للتفاصيل فلا نجد كمًّا كافيًا من الثوابت شبيهة بحالات الزواج والطلاق والميراث، بل نجد فيما يتفرع عن كلمة التغيير ثوابت محدودة نسبيًا، نجدها في المقاصد والأصول التشريعية بصياغة عامة وجامعة مانعة، مما يشمل «عملية التغيير» وسواها، ومن ذلك مثلًا قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، أما النسبة العظمى مما يتجاوز ذلك في عملية التغيير فلا نجد له في تراثنا الفقهي إلا اجتهادات غير ملزمة، أي دون مستوى النصوص الشرعية القطعية الورود والدلالة، من قرآن كريم وحديث صحيح. وإذا أضفنا الإجماع بوصفه في المرتبة الثالثة بين مصادر التشريع، فعلماء الأصول ينوهون إلى تعدد الاجتهادات في مسألة متى ينعقد الإجماع وكيفيته، فضلًا عمن يقول: إنه لم يحصل بالفعل بصيغته المطلقة.

وواقعيًا نجد أن غالبية من تناولوا «فقه التغيير» بالبحث والدراسة من منطلق إسلامي، وجدوا أن المحتوى الذي وصلوا إليه ويرتبط مباشرة بعملية التغيير «قليلًا» ولهذا لجؤوا - لهذا السبب على الأرجح - إلى ربط معظم ما ورد في اجتهاداتهم بعناوين كبرى أخرى، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الأمة الوسط.

وبقليل من التأمل يمكن أن نستخدم عناوين فقه الأمر والنهي أو فقه الأمة الوسط بدلًا من عنوان «فقه التغيير» دون أن يتغير الكثير من المحتوى، هذا وإن لجأ بعض مَن كتب في الموضوع إلى البحث عن مخرج بإضافة كلمة توضيحية كالقول «فقه التغيير السياسي»، ووقع في فخّ «ضيقتَ واسعًا».

ليس عيبًا انتشار رغبة ذاتية لتأكيد الصبغة الإسلامية التشريعية في ميادين عديدة وعلى صعيد اجتهادات متوازنة منهجية، ولكن لا يكفي ذلك دون مراعاة جوانب أخرى في التعامل مع قضية واسعة النطاق كقضية التغيير.

ضوابط لفكر التغيير:

توجد كتابات تربط عملية التغيير بالآيتين الكريمتين:

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وليس صحيحًا أن نفهم من الآيتين أن تغيير ما بالنفس هو التغيير، إنما هو مفتاح يرتبط بالإنسان صانع التغيير، فلا تتحقق دون سلامة هذا المفتاح عملية التغيير الأكبر والأوسع بمختلف معانيها وميادينها، حضاريًا وسياسيًا واقتصاديًا ومعيشيًا واجتماعيًا، وثقافيًا وأدبيًا وفنيًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، ونهوضًا وتقدمًا ونشرًا للحق والعدل والإحسان... إلى آخره، فنحن لا نواجه في هاتين الآيتين خيارًا بين تغيير ما بالنفس أو عدم التغيير، بل نتلقى توجيهًا ربانيًا لمعرفة الوصول إلى مفتاح دروب التغيير جميعًا، للتكوين الذاتي، عقيدة وعبادة وفقهًا وعلمًا وفكرًا وتعاملًا بين البشر.

في هذا الإطار الأوسع نطاقًا تواجهنا مع عنوان «فقه» التغيير كفرع فقهي عدة معطيات تتعلق باختيار العنوان وبشروط تحوّله إلى مصطلح محكم من حيث المفهوم وضوابط الاستخدام. وأهمها:

١. قلة الثوابت التشريعية القطعية التي تصلح للاستخدام منطلقًا لتشريع فقهي حول عملية التغيير، وهذا إيجابي بحد ذاته فهو ما يؤدي إلى توسيع مجال الاجتهاد، ولو كان كثيرًا لغدا سلبيًا نتيجة الإحساس بوطأة ما يبدو قيودًا وموانع من القول والعمل للتغيير. والمقصود بالثوابت هنا كمثال ما يقتضيه الحديث الصحيح (لا طاعةَ في معصية، إنما الطاعة في المعروف)[1]، فمقتضاه من الثوابت السارية المفعول على الأقوال والأعمال عمومًا، فتسري تلقائيًا على ما يتعلق بالتغيير سواء نظرنا إليه تحت عنوان «فقه» أو تحت عنوان آخر.

٢. تسارع وقوع المتغيرات التي تستدعي تنشيط حركة الاجتهاد وسرعة عجلة عطائها، وهو ما يمكن عند التقصير في تطبيقه أثناء عملية التغيير أن يصبح مصدر تأثير سلبي على عدم اللحاق بتلك المتغيرات وتوجهاتها بدلًا من ضمان سلامة غاياتها ومساراتها.

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠).

٣. تعدد المتغيرات نوعًا وأهمية وتعدد ظروف كل منها في عالمنا المعاصر جغرافيًا وإداريًا، وبالتالي يفتح الأخذ بضبط عملية التغيير تحت عنوان «فقه التغيير» أبوابًا واسعة لتعدد الاجتهادات تعددًا لا يراعي حاجة عملية التغيير إلى توافق متجدد في التأثير القيادي على مساراته الشاملة والفرعية.

> **تبقى الحاجة قائمة إلى التركيز على ضوابط فقهية كبرى، مستمدة من المقاصد والأصول التشريعية، للتأطير العام لتفاعلات المسارات الفكرية بين ما يطرح بين أيدينا على درب التغيير**

مجموع ما سبق في هذه الفقرة يبين أن اختيار عنوان «فقه التغيير» يمكن أن يحوّل طرح المطلوب تحت هذا العنوان إلى معضلة، من جوانبها:

١. الحرص على الوصول إلى إطار متكامل لفقه التغيير يدفع الباحث إلى الاستغراق في البحث في التراث الفقهي عما يكمل في نظره المقاصد الكبرى ذات العلاقة المباشرة بالموضوع وهي محدودة العدد نسبيًا، ومرتبطة بمعطيات صياغتها الأولى، وهنا قد يضيف الباحث ما قد يميّع المقصود من العنوان، أو ما يفقد مفعوله إن كان اجتهادًا يتعلق بظروف مكانية وزمانية وحالية أخرى.

٢. الخلط دون قصد بين ما لا يقبل التعديل من الثوابت وبين ما هو من الاجتهادات، وقد يقع الضرر إن كانت الأخيرة مما كان مقبولًا وممكنًا عند ظهوره الأول، وأصبح بمنزلة ما لا يطاق الأخذ به في الأوضاع المستجدة، أي أصبح خارج نطاق قواعد كبرى من قبيل «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» أو «لا حرج في الدين»، ولا يخدم ذاك الخلل العلاقة بين الاجتهاد الفقهي وبين المستهدفين به للأخذ بمقتضياته والتزامها، وهذا في مجال لا تتحقق أهدافه دون اتساع نطاق هذا الالتزام.

٣. الحاجة المتجددة لتغيير بعد تغيير في نصوص اجتهادات «فقه التغيير» بسبب تسارع المتغيرات التي تقتضي ذلك، ولا يفيد هنا تجنب الخلل عبر تعميم صياغة مدلولات نصوص الاجتهادات، فعملية التغيير تحتاج إلى الدقة في الصياغة والتوجيه، والوضوح في المدلول، والحسم في شروط التطبيق.

٤. الحاجة الماسة إلى تعدد التخصصات وتشبيكها وتكاملها، أكثر مما كان في عصور ماضية، فنحن لا نواجه في عملية التغيير وسواها مجالًا تخصصيًا واحدًا، كما أن عصرنا لم يعد عصر العلاّمة الذي يمسك بيديه أزمّة معظم علوم عصره، فلا بد من التخصصات وتفريعها المتزايد باستمرار، ليراعي العمل في ميادين التغيير العديدة كافّةً ما نحتاج إليه، ولا بد من تشبيكها ليراعي كل متخصص ما يصنعه آخرون في نطاق تخصصاتهم، ثم لا بد من تكاملها ليكون الناتج التغييري الشامل منسجمًا مع نفسه وفيما بين ميادين تأثيره.

يمكن تعداد المزيد من هذه النقاط والتفصيل فيها، إنما المطلوب في هذه المقالة هو الاقتصار على تعداد الخواطر والأفكار والتساؤلات بعناوينها الكبرى، فيكفي ما سبق للقول:

الأجدى وضع عنوان «فكر التغيير» على جميع ما هو مطلوب في عمليات التغيير وضبط مساراتها، بدلًا من عنوان «فقه التغيير» مع الاعتقاد الجازم بأن الفكر أيضًا لا يكون إسلاميًا دون ضوابط والتزام.

> **يساعد عنوان «فكر» التغيير على طرح الأفكار بصفة أنها أفكار، وبالتالي تجنب وقوع خلل في التعامل معها، ناجم عن اعتقاد البعض بأن كل ما يذكر تحت عنوان «فقهي» له صفة تقديس، حتى وإن كان اجتهادًا يحتمل الصواب والخطأ**

بتعبير آخر: إن الحديث عن وجوب أداء أمر أو تجنبه تحت عنوان «أفكار» يفتح الباب أمام مشاركة أوسع في التنظير لأطروحات التغيير وتوجيهه، وهو في حاجة إلى معارف وتخصصات ومؤهلات متعددة ومتفرعة، فيكون مثله في ذلك مثل طرح الأفكار المتعلقة - كمثال- بالعلاقات الاجتماعية في ميدان من ميادين التربية والتعليم أو الفنون، أما النظر إلى ما يطرح بعنوان «فكر التغيير» من حيث توافقه مع الأحكام الفقهية

لماذا يقترح استبدال مصطلح "فقه التغيير"؟

١ لمحدودية المقاصد الكبرى المتعلقة مباشرة بالتغيير، ويؤدي ذلك إلى إضافات تميع المقصود

٢ لإمكانية حصول خلط بين الثوابت والاجتهادات

٣ تسارع المتغيرات، ومن ثم الحاجة إلى تغيير اجتهادات "فقه التغيير"

٤ للحاجة إلى تعدد التخصصات وتشبيكها وتكاملها وتفريغها المتزايد باستمرار

الشرعية أو تناقضه معها فيبقى من اختصاص المجتهدين من أصحاب العلم الشرعي.

ويساعد عنوان «فكر» التغيير على طرح الأفكار بصفة أنها أفكار، وبالتالي يساعد في تجنب وقوع خلل في التعامل معها، ناجم عن اعتقاد بعض أهلنا بأن كل ما يذكر تحت عنوان «فقهي» له صفة تقديس، حتى وإن كان اجتهادًا يحتمل الصواب والخطأ.

وتبقى الحاجة قائمة إلى التركيز على ضوابط فقهية كبرى، مستمدة من المقاصد والأصول التشريعية، للتأطير العام لتفاعلات المسارات الفكرية بين ما يطرح بين أيدينا على درب التغيير.

إن صياغة الضوابط الكبرى هذه ضرورية ومطلوبة في ميدان التغيير وسواه، كالدعوة، والإعلام، والبحث العلمي، والتعامل مع الآخر عقديًا، والآخر قوميًا، والعلاقات بين النقابات وأصحاب العمل، والفنون، والقائمة طويلة.

إنما لا يكفي تعداد مثل تلك الضوابط لميدان معين كفكر التغيير في مقالة أو دراسة جانبية، فالمقصود بالكلمة يحتاج للجمع بين ما يجتهد به العلماء بالشرع وما يجتهد به العلماء والمتخصصون وأصحاب الخبرة في الميدان المعني، للتوافق على صياغات مرنة، حتى إذا تم نشرها وتداولها كانت مراعاتها مستمدة من مراعاة الأحكام الفقهية، كما يبقى تعديلها لتوافق مشابه مع تبدل المعطيات والظروف، وهذا أوسع أفقًا من تعديل أحكام فقهية.

> **إن صياغة الضوابط الكبرى ضرورية في ميدان التغيير وسواه، كالدعوة، والإعلام، والبحث العلمي، والتعامل مع الآخر عقديًا وقوميًا، والعلاقات بين النقابات وأصحاب العمل، والفنون، والقائمة تطول**

وفي ميدان التغيير تحديدًا، نعلم أنه يجري على كل حال، بجهودنا أو جهود سوانا، أو بهذا وذاك معًا، ويبقى الرجاء ألا نكون من المقصرين في هذه الطريق، وألا نجد أنفسنا يومًا بعد يوم في أوضاع قسرية أكثر من سابقاتها، للقبول كارهين بواقع متغير باستمرار، في اتجاه الأسوأ بعد الأسوأ، مما يصنعه أعداء الإنسان، جنس الإنسان، بغض النظر عن هوياتهم وانتماءاتهم ومعتقداتهم ومواقعهم.

ولله الحمد من قبل ومن بعد وعليه يتوكل العاملون الصادقون.

إضاءات على الحوكمة في القرآن الكريم

م. جهاد بوابيجي (*)

من آثار غياب الحوكمة الرشيدة في مجال وضع الرجل الصحيح في المكان الصحيح: تعثُّر أهداف المنظمة والنفع المنتظَر منها، وبنظرة في كتاب الله تعالى يمكننا استلهام المؤهلات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مستوى من مستويات القيادة، فنجاح أي مؤسسة يبدأ من تمكين أصحاب المؤهلات الحقيقية فيها، بدءًا من إطار الأسرة وصولًا إلى كيان الأمة.

مدخل:

خلال حرب استخباراتية بين دولتين، اكتشفت إحداهما أن أحد ضباطها يتعامل مع الدولة الأخرى، فراقبوه ليعرفوا طبيعة العمل الذي يقوم به لصالح الدولة الأخرى، فلم يجدوا عليه عملاً مشبوهًا، أو دليلاً على خيانته أو أنه يقوم بشيء لصالح الدولة الأخرى. وكان الاكتشاف بعد سنوات!

لقد كان ذلك الخائن يضع الشخص المؤهل في المكان الذي لا يناسبه، ويضع في المناصب الحساسة أشخاصًا غير مؤهلين. لقد كان يُقدم للعدو أكثر مما يحتاج؛ وهو تدمير المنظومة من الداخل وبشكل يصعب إصلاحه، وكان هذا أهم إنجاز لجهاز المخابرات ذاك!

من أكثر القضايا إيلامًا في العمل على جميع المستويات: عدم قدرة القيادة على وضع الشخص الصحيح في المكان المناسب؛ حيث إن أقصى ضرر قد يقع على منظومة عمل ما هي في وضع الشخص غير المؤهل أو غير الكفء في منصب حساس وتسليمه مسؤوليات أكبر من قدرته على حملها.

الحوكمة:

إن الحوكمة في العمل الإداري هي: العمل الذي من خلاله يتم ضمان تحقيق أهداف المنظمة بما يتوافق مع متطلبات المستفيدين (مواطنين، وعملاء، وغيرهم) بما في ذلك تحديد التوجهات التنفيذية والأولويات واتخاذ القرارات ومن ثم مراقبة الأداء ومدى التقدم في التنفيذ وتحقيق الأهداف المتفق عليها وذلك لجميع المستويات من خلال كيان حوكمة مختص[1].

يحتوي التعريف على عدد من العناصر الأساسية أهمها: تحقيق الأهداف، ومتطلبات المستفيدين،

(*) خبير إدارة تقنية معلومات، استشاري تحليل أعمال وإدارة مشاريع.

(١) ISACA©, COBIT5® Reference Guide

وإطار العمل الذي ينظر إلى أي منظمة على أنها تعمل على خدمة فئة من الناس لا أنها تحقق الاستفادة منهم.

> **إن أساس قيام أي منظمة هو القائمون عليها في خدمة المستفيدين وتحقيق الأهداف، لهذا فإن تركيز الأعداء يكون على ذوي المناصب والمسؤوليات الهامة.**

وقد حدد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تسعة مبادئ أساسية للحوكمة، وهي: المشاركة، سيادة القانون، الشفافية، الاستجابة، الإجماع العام، المساواة، الفاعلية والكفاءة، المساءلة، والرؤية الاستراتيجية[1].

وهذه المبادئ ينبغي العمل عليها لتحقيق الحكم الرشيد الذي تطمح إليه أي منظمة أو دولة أو مجتمع.

تعمل منظومة الحوكمة على مستويين اثنين: مستوى الكيانات عندما تتعامل مع بعضها، ومستوى الأفراد داخل الكيان الواحد، وسيكون صلب الحديث هنا عن المستوى الثاني.

إن أساس قيام أي منظمة هو القائمون عليها (من رأس الهرم حتى أدناه) في خدمة المستفيدين وتحقيق الأهداف، ولهذا فإن تركيز الدول المعادية يكون على **ذوي المناصب والمسؤوليات** كما في حادثة ضابط المخابرات السالفة الذكر، فالعمل في منصب أو مسؤولية ما له رونقه وجاذبيته الخاصة به للشخص المرشح، ومن النادر وجود من يرفض منصبًا يعرض عليه حتى وإن كان غير مؤهل له، إلا إن كان في قلبه من تقوى الله ومخافته ما يتجاوز ما لديه من حظوظ نفسه، وقليلٌ ما هم.

أما السواد الأعظم فهم يركضون ركضًا للمناصب المتاحة ويتعلقون بها سعيًا للاستفادة منها، بغض النظر عن قدرتهم على تحقيق الغاية المرادة من المنصب الذي يشغلونه، وله أسبابه الكثيرة التي يطول الحديث عنها وتحتاج لإفراد بمقال خاص.

«إن وضع الشخص المناسب في المكان المناسب هو عماد قيام المنظمات والمؤسسات والدول وجميع أشكال العمل الجماعي. ولم يأخذ هذا الأمر حقه من التركيز والبحث كما ينبغي في الدراسة الجامعية الأكاديمية والمناهج الدراسية»[2]، فمعظم المناصب تعطى لمن يثق به القائد أو تتم تزكيته له، بل أصبح المؤهل الأساسي للمناصب والترقيات هو الولاء للمنظمة أو قيادتها وليس القدرة الحقيقية على إشغال المنصب وتحقيق الحق الذي يستحق.

أضواء على المناصب ومؤهلاتها في القرآن الكريم:

ورد في تعريف الحوكمة أن المحرك الرئيسي لدى جميع العناصر البشرية هو في «خدمة من يتحكمون بمواردهم وتحقيق الأهداف»، ويكون ذلك في عدد من المستويات والمناصب، وبنظرة في كتاب الله تعالى نجد إشارات لثلاثة أنواع من المؤهلات لثلاثة أنواع من المناصب يمكن النظر لها والاسترشاد بها في هذا المجال:

١. النوع الأول: القيادة العليا (الملك):

﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ اللَّهَ قَد بَعَثَ لَكُم طالوتَ مَلِكًا قالوا أَنّىٰ يَكونُ لَهُ المُلكُ عَلَينا وَنَحنُ أَحَقُّ بِالمُلكِ مِنهُ وَلَم يُؤتَ سَعَةً مِنَ المالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصطَفاهُ عَلَيكُم وَزادَهُ بَسطَةً فِي العِلمِ وَالجِسمِ وَاللَّهُ يُؤتي مُلكَهُ مَن يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

نستلهم من هذه الآية المؤهل من بني إسرائيل الذي استحق به المنصب القيادي، (البسطة في العلم والجسم)؛ وذلك لأن العمل القيادي كان يستدعي الكثير من الحركة والتواصل والجهد الهائل الذي يجب أن يبذله القائد ليقوم بمهام القيادة فهو بحاجة إلى الصحة والقوة الجسدية والذهنية، إضافة إلى العلم في أمور القيادة والتوجيه والإدارة وغيرها من العلوم التي يحتاجها القائد ليحقق لمن يقوم عليهم الأهدافَ التي يسعون إليها.

> **قد يكون المرء أمينًا وقادرًا على حفظ الأمانة لكن ليس لديه ما يكفي من العلم كي يضع الأمور في موازينها الصحيحة والعكس كذلك، وكلا الحالتين تقضيان على كوادر وموارد المنظمة.**

(١) United Nations Development Programmer (UNDP), Governance and Sustainable Human Development (New 7 York: UNDP, UNDP policy document, 1997). p.14-15.

(٢) The Personal MBA, Josh Kaufman

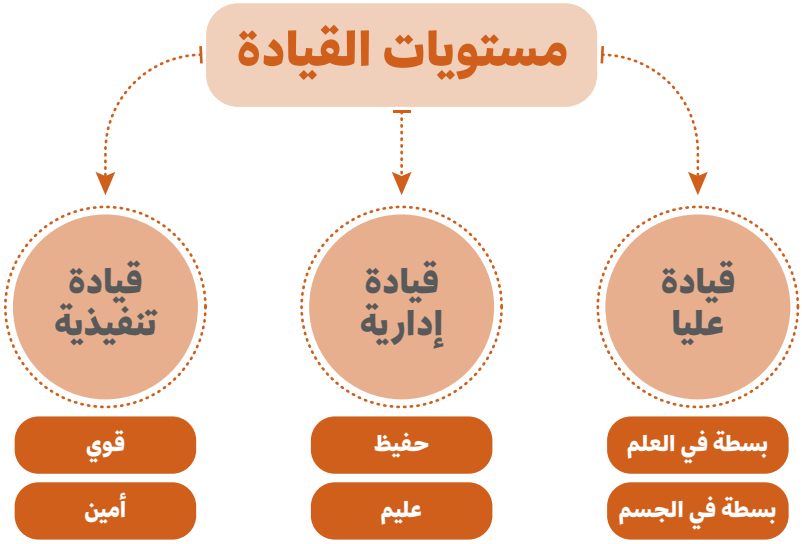

إن لم تجتمع تلك الصفتان -على الأقل- في الشخص فلن يكون مؤهلًا لأن يكون قائدًا. فقد يكون المرء عالمًا ولكنه غير قادر صحيًا وجسميًا وذهنيًا على متابعة الكثير مما يدور حوله فيتلاعب من تحته وهو غافل، أو أن يكون صحيحًا جسميًا ويبذل الكثير من الجهد وليس لديه ما يكفي من العلم الذي يجعله يتخذ القرارات الخاطئة فيتوجه بالسفينة إلى حتفها.

٢. النوع الثاني: الإدارة الوسطى (الإدارة الرابطة بين القيادة والتنفيذ)

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٥].

العمل التنفيذي أو ما يسمى حاليًا بـ (العمل الإداري) هو العمل الذي يتحكم من خلاله بالموارد المتاحة للكيان بما تراه القيادة، وهذا واضح في الآية (أستخلصه لنفسي)، وحتى يكون صاحب هذا المنصب قادرًا على الوصول إلى الموارد فعليه أن يتحلى بأن يكون (حفيظًا) على ما تحت يديه من الموارد والقدرات والأموال والعلاقات وغيرها فلا يضيع منه شيء في غير محله.

ويجب أن يكون (عليمًا) حتى يكون على علم ومعرفة بما يقوم به من تدبير وإعطاء ومنع والتصرف في جميع أنواع التصرفات.

وذلك ليس حرصًا على الولاية ولكن رغبة في النفع العام فأصبح يوسف عليه السلام على خزائن الأرض (تفسير السعدي)، فإن لم تجتمع تلك الصفتان به على الأقل فلن يكون مؤهلاً لأن يكون مديرًا، فقد يكون المرء أمينًا وقادرًا على حفظ الأمانة ولكن ليس لديه ما يكفي من العلم كي يضع الأمور في موازينها الصحيحة والعكس كذلك، وكلا الحالتين تقضيان على كوادر وموارد المنظمة. وهذا المستوى هو الأخطر والأشد حرجًا.

"إن انعدام الأمانة في العمل الذي يتضمن مسؤولية ما يجعل المنظمة أو الدولة مكشوفة بأدق التفاصيل؛ لانعدام الأمانة في المناصب والوظائف التنفيذية والإدارية والقيادية على حد سواء."

٣. النوع الثالث: العمل التنفيذي (الأعمال اليومية)

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

المستوى الثالث من مستويات العمل هو المستوى التنفيذي العملي، وهو استئجار من يقوم بالعمل موظفًا طالت المدة أم قصرت، فالعمل في هذه الحالة بحاجة إلى القوة والأمانة، والقوة هنا هي القدرة على تنفيذ العمل المطلوب وليست القوة الجسدية فحسب، وهي تختلف عن المراد به في البسطة في الجسم المذكورة في المستوى القيادي. كما أن العامل في القطاع التنفيذي بحاجة لأن يكون أمينًا على ما يشاهده من أسرار العمل

وأخباره والكيفية التنفيذية التي يقوم بها، كما يجب أن يكون مؤتمنًا على أن يقوم بعمله بالإتقان الصحيح المطلوب. إن لم تتوفر تلك الصفتان على الأقل بالعامل في التنفيذ فلن يكون مؤهلًا لشغل المنصب التنفيذي المطلوب منه.

إنَّ قوة التنظيمات العالمية والدول العظمى تكمن في جمع المعلومات الدقيقة من داخل الطرف الآخر، فإن وجد من يحفظ الأمانة فلن يكون للعدو مجال للاقتحام كالذي حصل في القصة مستهل هذا المقال، إن انعدام الأمانة في العمل الذي يتضمن مسؤولية ما يجعل المنظمة أو الدولة مكشوفة بشكل شبه كامل وبأدق التفاصيل؛ وذلك بسبب انعدام الأمانة في المناصب والوظائف التنفيذية والإدارية والقيادية على حد سواء.

إذا أردنا بناء منظمة قادرة على تحقيق أهداف بناءة ضمن منظومة حكم رشيد، فعلينا تمكين من يستحق في المكان المناسب، على أن يكون مكملًا للآخرين ضمن إطار عمل واضح منظم يتبناه الجميع بلا استثناء.

لأجل ذلك، على من يرى في نفسه الأهلية والقدرة في إمساك مسؤولية ما أن يبادر إليها؛ سعيًا وراء المصلحة العامة كما فعل سيدنا يوسف عليه السلام، فهذا ليس مكان التواضع وإلا خلا الجو للطامعين ومن ليس لديهم مؤهلات أو استحقاق.

وعلى من يرى في غيره التأهيل المطلوب أن يقوم بترشيحه كما فعلت الفتاة الصالحة ابنة الرجل الصالح مع سيدنا موسى عليه السلام.

إذا أردنا بناء دولة قوية ومؤسسات قادرة على صناعة وتحقيق أهداف بناءة وتخدم مستفيديها حق الخدمة ضمن منظومة حكم رشيد، فعلينا تمكين من يستحق في المكان المناسب بالتوجه الصحيح وبما يساعد كل كادر على أن يكون مكملًا للآخر ضمن إطار عمل واضح ومنظم يتبناه الجميع بلا استثناء. ولا يمكن ذلك إلا باتباع المنهج القرآني الذي استلهمنا منه قطرات ندى بسيطة تعطينا توجيهًا عامًا في هذا الموضوع الكبير. لن نتمكن من التخلص من الوضع الأليم الذي نعاني منه في المجتمعات والمؤسسات والدول الإسلامية إلا بإيجاد منظومة حوكمة وتأهيل بشري متكاملة، يقع على عاتق كل إنسان الحرص على تنفيذها على نفسه وعلى أسرته ومجتمعه ومؤسسته وأعماله وأمته التي ينتمي إليها.

انكفاء النُّخب والقيادات الدعوية

أ. وليد الرفاعي (*)

تعاني الأمة من انكفاء القيادات الدعوية عن العمل العام، مما يفسح المجال لتصدر نماذج غير مؤهلة، سريعًا ما تسقط لتوقع الناس بخيبات الأمل. ومن مظاهر ذلك الانكفاء الانشغال بالوسائل عن الأهداف، وتفضيل العمل ضمن الدوائر الآمنة بعيداً عن الانخراط المباشر في المجتمع، وكذلك الاستغراق في المصالح الشخصية، وكذلك استعمال لغة نخبوية بعيدة عن بساطة الطرح، مما يسهم في انحسار دائرة التأثير، والحل يكمن في حذر الداعية من الشهوات الظاهرة والخفيّة، وتحلّيه بالمرونة والواقعية

توطئة:

«النُّخب» بوصلة المجتمعات، وحُداة الطريق، الأكثر استشرافًا، والأعمق فكرًا، والأبصر بالرؤية الكلية للمشهد من زوايا تخصصهم ونخبويتهم، والرموز والقيادات الشرعية والدعوية هم جزء من ذلك ولا شك[1].

ولكن انكفاءً ما على ذواتهم يقلّص مِن حجم تأثيرهم ويسحب منهم الدور الريادي المناط بهم، فالمتابع للساحة الدعوية يلحظ ذلك في: الانكفاء عن اقتحام الميادين العامة وتبنّي الخطاب الجماهيري العام، وغالبًا ما ينتج ذلك عن أسباب عدة، ويكون له مظاهر وآثار متعددة سنحاول الوقوف عليها في هذا المقال.

اضطراب الخطاب الدعوي:

في الوقت الذي تنكفئ فيه الرموز والقيادات الشرعية والدعوية على تقديم خطاب نخبوي وخاص، تصبح الميادين العامة من نصيب أنصاف الدعاة والمثقفين الذين يطرحون خطابًا متشتتًا ومتناثرًا ومتداخلًا ينتج عنه عدم انتظام الخطاب الدعوي الجماهيري في طرح متوازن ومتسق وفق رؤية واضحة تحقق أهدافه العامة وتتناسب مع أهميته الكبرى.

(*) مستشار تربوي ونفسي.

(١) «النخب» و«الرموز» و«القيادات» مصطلحات بينها خصوص وعموم، وغالبًا ما تكون استخداماتها نسبية، حيث يطلق وصف «النخب» و«الرموز» على المرجعيات التنظيرية، بينما يطلق وصف «القيادات» على المرجعيات الميدانية.

كما ينتج عن ذلك الانكفاء التّدني في مضمون الخطاب الجماهيري وقيمته؛ حيث يصدر عن فئة مِن غير المتخصصين الذين خلت لهم الساحة فتصدّروا المشهد وكان لهم التأثير الأبرز، فكان خطابهم متناسبًا مع مستوى وعيهم وعمقهم واتساع أفقهم، وهو ما يفتقده الكثير منهم، حيث تغلب عليهم المهارات الخطابية والإعلامية على حساب الجوانب الفكرية والعلمية والمنهجية؛ فينحصر الخطاب الدعوي الجماهيري في موضوعات الرقائق والأدبيات والسلوكيات العامة، بعيدًا عن قضايا التصور والفكر ومعاني الدين العميقة، كمقاصد الدين الكلية، ومفهوم الجهاد غير المشوّه، وقضايا الظلم والحقوق بأنواعها: الاجتماعي والسياسي، ومسائل الاعتقاد المؤصّلة لمعاني العبودية التي توقف الناس على معاني الإسلام والاستسلام لله.

ويزداد الأمر سوءًا إن اقتحموا مجالات الفتوى والفكر مع عدم توفر الأدوات اللازمة لذلك، فيزيد الخطاب اضطرابًا وانحرافًا.

> **أغلب الناس لديهم ضعف في التمييز بين فئات المتصدرين، فلا يفرقون بين مفتٍ وداعية وأديب ومفسر رؤى ومدرب**

خيبات المتصدِّرين:

ومِن تأثيرات هذا الابتعاد من النّخب الدعوية والشرعية كذلك وقوع الناس في خيبات متتالية نتيجة سقوط بعض تلك النماذج المتصدرة دونما استحقاق حقيقي، حيث غالبًا ما تنتهي بأولئك المتصدرين المحكّات التي يتعرضون لها إلى نتائج مؤلمة ومحبطة؛ ذلك أن إمكانياتهم والبناء الذاتي لأنفسهم لا يتكافأ مع تبعات المكان الذي تصدروا له والتحديات التي من الممكن أن يتعرضوا لها، من فتن الثراء والشهرة، أو فتن التمحيص تحت سَوط البلاء أو حتى مجرد التلويح به، وربما أسهم في تعزيز الفتنة عليهم تغريرُ الجماهير بهم من خلال وضعهم فوق منزلتهم، ومن خلال انسياقهم هم مع هذا التغرير دون وعي أو تحرز، وهي مسؤولية تقع على كواهلهم قبل عموم الناس، وذلك بسبب ضعف قدرة الأغلب من الناس على التمييز بين فئات المتصدرين، حيث يُصنَّف الجميع في خانة المتبوعين دون تفريق بين مُفتٍ وداعية وخطيب، وأديب ومفسرِ رؤى، وربما مدرب أيضًا. فميزان التقييم هو القدرة على التّصدر مع مسحة من الهدي الظاهر، والملكات الكلامية، وخطاب يزيَّن بنصوص شرعية متناثرة.

ولقد انسحبت تلك النكسات على عموم العاملين في الساحة الدعوية بما فيهم القيادات والرموز، مما أسهم في ضعف مصداقية الدعاة والعلماء لدى الشارع العام، وساعد في ذلك إعلام منحازٌ وأنظمة متربصة وضعف للمحاكمة المنطقية لدى الشعوب.

مقاصدية الأهداف لا ظاهرية الوسائل:

الدوران مع الأهداف وعدم الوقوف عند حدود الوسائل هو السمة التي ينبغي أن تكون حاضرة عند الرواد والنخب في سائر أعمالهم؛ فذلك أليق بدورهم الرسالي الذي يقتضي مرونة تتجاوز جمود الوسائل.

ففي جانب الوقت والجدول الشخصي مثلاً وفي ظل واقع تسوده الفوضوية والتعامل المستهتر بالأوقات والأعمار وتشتت الأهداف وضبابيتها، يجد النخبويون والقادةُ أنفسَهم في أمس الحاجة إلى التيقظ من الانخراط أو حتى التأثر السلبي بهذا الواقع، وهو تيقظ لازم تفرضه عليهم خصوصية الأمانة المناطة بهم وقتامة المرحلة واستثنائيتها، مع تعلق الآمال بهم ليكونوا قوارب النجاة.

إلا أن حالةً مِن التحفز الزائد تصيب البعض منهم تجاه أوقاتهم والتعامل مع من حولهم، تجعلهم ضعيفي المرونة في التعاطي مع أي مستجد أو طارئ، وبالرغم من أن هذه الحالة بُنيت على معطيات صحيحة من تقدير الزمن والسعي للإنجاز وتحقيق الأهداف، إلا أنها عندما تخلو من النظرة المقاصدية تؤدي إلى شيء من الانكفاء والعزلة والانحصار في دوائر ضيقة تقلّص مساحات الأثر والتأثير.

> **نجد في السيرة قصصًا وجد فيها «رئيس الدولة» وقتًا ليمشي في حاجة امرأة كان بإمكانه إرسال مَن يقضي حاجتها غيره، وكذلك لم يجد فيها حرجًا من قضاء وقت في تفسير رؤى الناس ومناماتهم**

ومما يعزز ذلك السلوك لديهم هو ذلك الإرث التاريخي الذي يتم فيه التقاط بعض الصور

مما يعزز انكفاء النخب انشغالهم بالمستويات والدوائر العليا من الأعمال التنظيرية إدارةً وفكرًا بعيدًا عن الميادين المباشرة

الحادة في تعامل السابقين مع أوقاتهم، كمن يطلب مَن يقرأ له العلم من وراء خلائه، أو مَن يطلب مِن محدثه إيقاف الشمس ليقف معه بضع دقائق، وهي صور لامعة قد تستهوي البعض إلا أنها ليست صالحة للتعميم على كامل الحياة، وإنما تصلح للاستنساخ في ظروف استثنائية، ولتحقيق أعمال جزئية محددة، وذلك لكونها مصادمة لطبيعة الإنسان وفطرته، وفيها تكليف للنفس بما لا يلزمها، وبما تستطيع تحقيق ما تريده بأقل مِن ذلك العنت. وليس في ذلك بالطبع دعوة للتراخي والتفريط والانسياق، ففي جدية الحياة والموت وسمو رسالة النخب وعظم الدور والحاجة لهم ما يفرض عليهم التنبه والتيقظ إلى مضيعات الأعمار والأوقات. ولكن كل ذلك بصورة طبيعية وروح غير مشدودة وسلوك مقاصدي يدور مع الأهداف ولا يقف عند القوالب، بل إن في حياة السادة الأوائل من الصحب الكرام ﷺ بل وحياة سيد الخلق أجمعين ﷺ ما لا يتناغم مع هذا النمط من التعاطي الحاد.

فمن لطيف ما يذكره أنسُ بنُ مالك ﷺ قال: (كانت الصلاةُ تقام، فيكلِّم النبيُ ﷺ الرجلَ في حاجةٍ تكونُ له، فيقومُ بينه وبين القِبلة، فما يزال قائمًا يُكلّمه، فربما رأيتُ بعضَ القوم لَيَنعس من طولِ قيام النبي ﷺ له)[1]، فهذا لون من المرونة العملية التي قد تبدو غريبة على الحس النخبوي.

كما نجد في السيرة قصصًا وَجد فيها «رئيس الدولة» وقتًا ليمشي في حاجة امرأة كان بإمكانه إرسال مَن يقضي حاجتها غيره، كما جاء في حديث أَنَس ﷺ أَنَّ امرأةً كان في عَقلِها شَيءٌ، فقالت: يا رسول الله، إنَّ لي إليكَ حَاجةً، فقال: (يا أُم فلان، انظري أيَّ السِّكَكِ شِئتِ، حتى أقضيَ لكَ حاجتك) فَخَلا معها في بعض الطُّرق، حتى فَرَغَت من حاجتها[2].

كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يجد حرجًا من قضاء وقت في تفسير رؤى الناس ومناماتهم، فعن سمرة بن جندب ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم مِن رؤيا؟، قال: فيقصُّ عليه مَن شاء الله أن يقص)[3].

ولربما كان أبو بكر الصديق ﷺ نموذجًا لـ «الهادئ المنجز» في سباقه إلى ميادين الخير بشخصية غير متحفزة تسبق إلى المعالي دون أن

(١) أخرجه أحمد (١٢٦٤٢)، والترمذي (٥١٨)، وعبد بن حميد (١٢٤٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).
(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

تتعالى على صغائر أبواب الفضل والخير، ودون أن تكون «مشدودة الوتر» في ذاتها وعلى مَن حولها، وفي سؤال مفاجئ عن أعمال بر متعددة مِن صدقة وإطعام وتشييع وزيارة مريض يكون ﷺ السابق بلا منازع، فحاله كما قال الأول:

مَن لي بمثلِ مَشيكَ المُدلَّلِ
تمشي الهُوَينَى وتجِي في الأوَّلِ

إذا لم تتيقظ النخب لصميم مسؤوليتها تجاه عموم الجماهير فإنها ستُستنفَد في مشاريع كثيرة قد ترضي ضمائرها وترفع اللوم عنها ظاهرًا ولكنها لا تخدم المسؤولية الحقيقية المناطة بها.

الدوائر الآمنة:

ومما يسهم في المزيد من الانكفاء وضعف التأثير: لزومُ العمل في المساحات المريحة والآمنة في العمل الدعوي مهما كانت هامشية وغير ذاتِ أولوية؛ ذلك أن انشغال النخب والقيادات بالمفضول عن الفاضل -حتى في عمل الخير- يُعدُّ خطيئة تتناسب مع حجم الحاجة القائمة لهم وحجم الإعداد والبناء الذي بنى كل فرد نفسَه به، وهو مِن عيوب القادرين على التمام، فهم أولى الناس وأجدرهم أن تكون حركتهم في عين ما تحتاجه أمتهم منهم، بحيث ترتفع قناعتهم عن مجرد تقديم عمل نافع، فهذا يجيده غالبُ الناس إن لم يكن كلهم، وإنما دورهم سدُّ ما لا يسده غيرهم من العمل الأنفع والأفضل. وإذا لم تتيقظ النخب لصميم مسؤوليتها تجاه عموم الجماهير فإنها ستُستنفَد في مشاريع كثيرة قد ترضي ضمائرها وترفع اللوم عنها ظاهرًا، ولكنها لا تخدم المسؤولية الحقيقة المناطة بها، وقد تحتاج النخب إلى التخلي عن بعض إغراقاتها في مشاريعها العلمية أو الفكرية التفصيلية التي تشبع نهمًا علميًا أو ترفًا فكريًا ولكنها لا تنتج أثرًا عمليًا واقعيًا حاسمًا، أو لا تندرج ضمن أولويات المرحلة وواجبات الوقت، وليس هذا حال المصلحين.

ويبقى أن ما يسُوغ لزيد لا يسُوغ لعمرو، وما يليق بعموم الناس لا يليق بخاصتهم.

وكلما زادت أوضاع الناس ضيقًا زادت الحاجة إلى الخطاب الذي يلملم شيئًا مِن جراحهم ويلامس احتياجاتهم ويتكلم باسمهم، ويعي واقعَهم ويدافع عن حقوقهم مهما كانت الضريبة، وإلا كان خطابهم منعزلًا عن واقع الناس وحياتهم، وإذا كان عامة الناس ترتفع بالمواقف فإن خاصتهم تسقط بها؛ ذلك أن الاستثناء في العامة هو التميز، فلا يُنتظر منهم كلمةُ حق أو موقفُ بطولة أو تفانٍ وتعالٍ عن حظوظ الذات، فإن فعلوها كانت منقبتهم مضاعفة بعكس الخاصة الذين تبدو في حقهم واجبًا لا فضلًا، فيقبح جدًا منهم ما دون ذلك.

ولربما كان هذا من أسباب تعرض غالب الرواد من المجددين للأذى والاستهداف بمن فيهم أنبياء الله ورسله، فهم من جهة لم يحصروا أنفسهم بخطاب أخلاقي مجرد يحافظ على وجودهم في الدوائر الآمنة، وإنما خطاب إصلاحي شامل عام، ولن يكون إصلاحُ حالِ مظلوم إلا بكفِّ يدِ ظالم، ولا تثبيتُ معروفٍ إلا بإنكارِ منكر، ولا إشاعةُ أخلاق نبيلة إلا بمواجهة كل ما يخدشها، ولا تعبيدُ الناس لله إلا بتحريرهم مِن كل ما هو سواه.

ما قد يكون سائغًا لعموم النخب من المبالغة في الانحصار في الأدوار النظرية، فإنه ليس سائغًا للنخب والقيادات الشرعية و«الرسالية» بشكل عام، فتقدير المصلحة هو الذي ينبغي أن يكون محركًا لهم.

الضمور المجتمعي:

ومما يعزز المزيد من ذلك الانكفاء انشغالُ النخب والقيادات الدعوية بالمستويات والدوائر العليا من الأعمال التنظيرية -إدارةً وفكرًا- بعيدًا عن الميادين المباشرة للناس، والتعاطي الصارم في ذلك، وهو ما يلقي بظلاله السيئة على القيادات حيث يصيبها بشيء من الضمور المجتمعي ويحرمها مِن روح العمل ويحصرها في أروقة الندوات والمؤتمرات ومجالس الإدارات العليا والأعمال النظرية والتنظيرية، فَيُحرَمُ الفاعلون على الأرض من التعاطي المباشر معهم. وقد يكون لذلك تبريرات تبدو منطقية من حيث تراتبية المهام والأعمال ولكن «حدية» النظرة والتطبيق تؤدي في النهاية إلى نتائج سلبية.

ففي المجال التربوي مثلًا: تفتقد المحاضن التربوية للنخب التربوية الخبيرة، حيث يكتفي الكثير منهم بتقديم رؤاهم وتدوين نظرياتهم بعيدًا

حواجز تعزز من انكفاء النخب

عن الممارسة الميدانية المباشرة ولو جزئيًا. ويكون لذلك انعكاساته السلبية على الطرفين: المتربين الذين يُحرَمون من التعامل مع القامات التربوية التي تضرب على الجذور وتختصر عليهم الطريق، والمربين الذي يبتعدون عن الميادين فيتحولون إلى مجرد منظرين تربويين لا مربين، وربما مع طول الابتعاد عن الواقع واتساع الفجوة مع الوسط التربوي تُصاب تنظيراتهم التربوية بشيء من التآكل وعدم الدقة والواقعية، فنخسرهم منظرين كما خسرناهم مربين، وهو مثال قابل للتعميم في مجالات عدة.

ويحسن هنا أن نشير إلى أن ما قد يكون سائغًا لعموم النخب من المبالغة في الانحصار في الأدوار النظرية، فإنه ليس سائغًا للنخب والقيادات الشرعية و«الرسالية» بشكل عام، فتقدير المصلحة هو الذي ينبغي أن يكون محركًا لهم، وحضور الجانب الرسالي لديهم ينبغي أن يكون مؤثرًا في واقع تحركهم وتأثيرهم، مما يجعله أحيانًا يتجاوز بعض القواعد الصارمة التي قد تفرضها التنظيرات والنظريات الإدارية المختلفة.

وكل هذا يفرض عليهم أن يكون في جدولهم مساحة لأعمال بِرٍّ عملية، مِن تعليم علم أو دعوة ميدانية أو تدريس لكتاب الله، وغيرها من أعمال الخير المباشرة التي قد يرى بعض القيادات أنه قد تجاوزها بمراحل، وأنها من مهام المبتدئين بالدعوة، ولكن غالبًا ما يكون في ذلك مِن تأديب للنفوس ما ترجى بركته لقلوبهم وأوقاتهم.

ولقد كان مما يمتدح به العالم قديمًا أنه «رجل عامة» فقد جاء عن إسحاق الفزاري أنه قال: «ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري! فأما الأوزاعي فكان رجُلَ عامة، وأما الثوري فكان رجُلَ خاصةِ نفسِه، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي»[1]، وهي مقارنة لا تؤخذ على إطلاقها بالطبع فلكل دورُه ومجاله، ولكنها تُفهَم في مسارها وسياقها.

وغالبًا ما يؤدي الإغراق في الأدوار التنظيرية إلى بهوت إيماني يجده الشخص في نفسه، ولا يجدده إلا إقحام نفسه بما يهذبها ويجلي عنها غربة التنظير وعزلة العمل.

(١) للتوسع يراجع مقال «كان رجل عامة». د.فيصل البعداني. مجلة البيان بتاريخ ١٣/٠٧/٢٠١١م.

وفي ظل ذلك كله نستطيع فهم تلك الأدوار الابتدائية التي كان يقوم بها العُمَران ﷺ أحيانًا في حمل الطعام بأنفسهما وهما على رأس الخلافة، ومثله قيام عمر المختار بالتدريس في حِلق القرآن إلى مطلع الثورة ضد المستعمر الإيطالي، والتي كان رأسًا مبرزًا فيها.

إن المكتسبات والمنجزات الشخصية للنخب الدعوية، ما لم يصاحبها استثمار في طريق الإصلاح فإنها تتحول إلى مذمة على أصحابها لا منقبة لهم، فالعلم والشهادة والمال والمنصب والجاه ينبغي أن تكون في قاموس النخب «وسائل إصلاح» ليس إلا.

الانكفاء على المصالح الشخصية:

يُفوت المصلحون الصادقون جزءًا من مصالحهم الخاصة مقابل مصلحة الأمة، والتي تقتضي اقترابًا والتصاقًا بها وبهمومها، كما أنها تمتزج بصورة أو بأخرى بالروح الاحتسابية التي ترصد مَواطن المعروف لتنميه ومواطن النقص لتقومه وتتحمل في سبيل ذلك تبعات كثيرة ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] والتبعات هنا ليست محصورة بما يأتي من الحاكم فحسب، فالتعرض لألسنة العوام قد لا يقل عن التعرض لأسنّة الحكام، والشجاعة في مواجهة رغبات العامة لا تقل عن الشجاعة في مواجهة تحكمات الملأ.

إن المكتسبات والمنجزات الشخصية للنخب الدعوية، ما لم يصاحبها استثمار في طريق الإصلاح فإنها تتحول إلى مذمة على أصحابها لا منقبة لهم، فالانشغال ببناء وتحصيل الأمجاد الشخصية ليس من شأن النخب أبدًا، والعلم والشهادة والمال والمنصب والجاه ينبغي أن تكون في قاموس النخب «وسائل إصلاح» ليس إلا.

إن حاجة النخب إلى التشبع بخلق «النبل» حاجة ماسة، فكلما زاد الإنسان ارتفاعًا ارتفعت التوقعات منه واشتدت الخيبة من خذلانه، وليس له كالنبل ليستمر في طريقه، فيعزز عنده التواضع مهما علا، والمسؤولية مهما كُفي، والوفاء والعطاء رغم التنكر والجفاء، والتسامي عن حظوظ الذات، وتفويت شيء من المصلحة الخاصة لحساب المصلحة العامة، والسبق إلى حاجة من أساء له، حالهم كحال نبي الله يوسف عليه السلام يعبّر لهم الرؤيا ويرشدهم إلى ما فيه خلاصهم من الكرب والشدة، شفقة بهم وإرادة للخير لهم، وهو قابع في سجنهم ظلمًا وزورًا، فبهذا كله سبق الرواد والمجددون على مدار التاريخ.

اللغة النخبوية:

التكلف في اللغة العربية الفصحى -والتي أضحت بعيدة عن أذن فئة غير قليلة من المخاطبين- أصبح وللأسف أحد الحواجز النفسية تجاه النخب والقيادات الشرعية والدعوية، وهو أحد عوامل الانكفاء والتقلص، ومن اللافت جدًا في كلام المصطفى ﷺ جزالة المعاني مع بساطة الأسلوب، والقرآن العظيم رغم أنه كتاب تشريع عام نجدُ أنه نزل بسبعة أحرف تُقرِّب الخطاب من المخاطَب.

وعودة إلى لغة النخب من المجددين والمؤثرين على مدار التاريخ يلحظ في نتاجهم أو خطابهم العلمي أو الجماهيري بساطة الطرح واللغة مع عُمق الفكرة وقوتها، مما يحقق تأثيرًا واستقطابًا لمساحات واسعة من الجمهور، وهو ما يتناسب مع طبيعة المشاريع الإصلاحية العامة، وهي مهمة شاقة ولا شك، فتبسيط المعاني العميقة دون الإخلال بلبِّها ومضمونها يصعُب على الكثير، وإذا كان التعامل مع المراحل المبكرة للطفل يحتاج إلى مواهب وإمكانيات خاصة، فإنَّ التخاطب مع عموم الناس بخطاب جماهيري قريب وعميق يحتاج إلى تبصر وتفنن ودراية قد يفتقدها الكثير من النخب رغم الحاجة الماسة لذلك.

ولقد ضغط هذا الأمر على النخب فجَعَلها تقع في مهمة شاقة تزاوج فيها بين جدية مشروعها وبساطة أسلوبها، وهو ما نجح فيه البعض وتكلف فيه البعض الآخر بصورة أثرت سلبًا على مضمون وغاية رسالتهم.

كانت لغة النخب من المجددين والمؤثرين في نتاجهم أو خطابهم العلمي أو الجماهيري بسيطة الطرح واللغة مع عُمق الفكرة وقوتها، مما حقق لها تأثيرًا واستقطابًا لمساحات واسعة من الجمهور، وهو ما يتناسب مع طبيعة المشاريع الإصلاحية العامة، وهي مهمة شاقة ولا شك.

ومن زاوية تاريخية نجد أنه في مقابل الخطاب الشرعي المرسل وغير المنضبط الذي كان سائدًا في ستينات وسبعينات القرن الفائت، برز الخطاب الدعوي التأصيلي والذي اهتم بالتوثيق والإسناد ونشأت مدارسُ علميةٌ نجحت في تقديم خطاب منضبط قلَّص مساحات الدواخل في سائر أبوابً الشريعةً، إلا أن استنساخ لغة الخطاب العلمية هذه في الجوانب الدعوية والاجتماعية والأخلاقية عند بعض النخب أفقد هذا الخطاب بريقه، بل وأوجد حاجزًا نفسيًا بين أصحابه وبين عموم الناس، حيث يجهل عامة الناس أدبيات هذا الخطاب العلمي المؤصل، من التخريجات الحديثية والتفريعات العلمية، في الوقت الذي يحتاجون فيه إلى خطاب مؤصّل يسير مباشر، لكن دون إرهاق سمعِهم بمصطلحات متخصصة، وليس خافيًا أن مبالغة الخطاب التأصيلي في محاكمة النتاج السلوكي والرقائقي محاكمة علمية، وتناوله كما تتناول مسائل الفقه والعقيدة، قلص دائرة المستفاد منه، وأوجد صورة من صور الانكفاء القسري للبعض أو لنتاجاتهم.

وتزداد الفجوة مع ازدياد كل ما يوجد فارقًا إضافيًا بين عموم الناس وبين النخب والتي إذا ما أُضيفت إلى اللباس الخاص والمغاير عن عموم المجتمع مع سمات الهدي الظاهر -التي أصبحت للأسف غريبة على الشارع المسلم- زادت الفجوة النفسية والشعور بالمغايرة الموجودة ابتداءً.

ولقد قدمت بعض الرموز النخبوية المعاصرة مثالًا للخطاب اليسير في أسلوبه والعميق في فحواه والمنضبط في منهجيته، كالشيخ علي الطنطاوي في القضايا الاجتماعية، والشيخ محمد متولي الشعراوي في تقريب معاني القرآن، وكذلك الحال في خطاب حسن البنا وابن باديس الجماهيري والإصلاحي العام.

"توافرت الآثار عن سادات الأمة في رغبتهم في بذل ما لديهم دون أن ينالوا حظوة خاصة أو وضعًا استثنائيًا ومنها ما اشتهر عن الإمام الشافعي قوله: «وددتُ لو أن الخلق تعلموه، ولا ينسب إليَّ منه شيء».

أبرز صفات النخب والقيادات الدعوية

تحمل تبعات الدعوة وأمانة الكلمة	العناية بوضوح الرؤية وسمو الهدف
الاستمرار في طلب العلم دون توقف	التواضع والقرب من الناس
العناية بالعبادة والزاد الإيماني	المرونة ومراعاة الأولويات
مراقبة القلب والتخلص من الميل للمكاسب الدنيوية	تقديم الخطاب المناسب وبلغة غير متكلفة

وتبقى القدرة على توجيه خطاب بلغة مقاربة تتناسب مع المتلقين والشرائح المختلفة مهمة شاقة ولا شك، وهي مهارة لا يملكها إلا القلة، ومَن ملكها استطاع مِن خلالها إيجاد تأثير واسع وكبير.

فتنة النخبوية:

ومما يحسن التيقُّظ له أخيرًا، التنبه لبعض الدوافع النفسية الدقيقة التي قد تُرافق الكثير من السلوكيات التي تعزِّز الشعور بالخصوصية والأهمية والتميز عن عموم الناس، وتجر إلى مزيدٍ من الانكفاء باعتبارها دلالة تميُّز وعلامة فارقة عن عموم الناس، وهي مدخل خفي يحتاج إلى مكاشفة مع الذات، فتميز النخب عن عامة الناس هو نتيجة وليس هدفًا في ذاته، وهو تميز بالنتائج، الوسائل فيها ليست مقصودة، وإلا أصبح هدفًا مدخولًا ونية فاسدة، ولقد توافرت الآثار عن سادات الأمة في رغبتهم في بذل ما لديهم دون أن ينالوا حظوة خاصة أو وضعًا استثنائيًا ومنها ما اشتهر عن الإمام الشافعي قوله: «وددتُ لو أن الخلق تعلموه، ولا ينسب إليَّ منه شيء»[1].

وفي الختام:

الدعاة والنخب منهم على وجه الخصوص ليسوا أشخاصًا عاديين، فهم ورثة الأنبياء وحملة الرسالة السماوية السامية، لا يليق بهم الركون للدعة والبحث عن مناطق الراحة ومساحات الأمان، بل الحريُّ بهم تجشُّم تبعات أمانة الكلمة، وكلَّما زادت مكانتهم زادت تبعتهم.

ولا مناص للداعية من العناية بزادِه الإيماني ورصيده العبادي ورقابته القلبية ليسلم مِن مغبة تشرب قلبه للشهوات الظاهرة والخفية التي ستعترضه في طريقه لا محالة، فاجتماع الأتباع وتجمهرهم والشهرة وذيوعها والمال ونموه ليست إلا ابتلاءات على الطريق لا تقل خطورةً عن ابتلاءات التضييق والقمع والمساومة على القيم والمبادئ.

ولا بد للداعية من رؤية واضحة وسبيل قويم وعزيمة متدفقة، يخالط بواقعية ومرونة، ويتحمل الأذى، ولا ينكفئ أو يتعالى بالمناصب والمراتب تحت أي ذريعة، ويتخفف من كل ما يحجزه عن مدعويه من الحواجز الرسمية واللغوية حتى يصلهم خطابه غضًا لينًا بينًا.

(١) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس»، لابن حجر العسقلاني، ص (١٠٦).

مسألة رضا أهل الاختيار في ولاية العهد في كتب السياسة الشرعية

أ.محمد براء ياسين(*)

تناول أهل العلم مسألة عهد الإمام لمن بعده بالولاية، هل تنعقد بها الإمامة؟ وهل يشترط فيها رضا أهل الاختيار لانعقاد إمامة ذي العهد، أم لا يشترط؟ وفي المقال التالي إضاءة على هذه المسائل من كتب السياسة الشرعية.

البحث في طرق إثبات الإمامة العظمى – أي: وسائل إسنادِ السُّلطَة – من البحوث التي تناولها أهل العلم في كتب الاعتقاد وكتب الفقه والكتب المفردة في السياسة الشرعية، ومما بحثوه: إثبات الإمامة بطريق الاستخلاف أو ولاية العهد، وهي أعم من مسألة ولاية العهد للأبناء؛ إذ يدخل فيها استخلاف الإمام لمن يراه الأصلح للإمامة مِن بعده، وإن لم يَكُنِ ابنَه، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن المسائل المتعلقة بولاية العهد: الصلة بين عهد الإمام وبين رضا أهل الاختيار، وسنتناول ما يتعلق بهذه المسألة بالنظر أساسًا في ما ورد في كتابين مهمين من كتب السياسة الشرعية:

- الأول: كتاب «الأحكام السلطانية» للقاضي أبي يعلى الحنبلي (ت: ٤٥٨).
- والثاني: كتاب «الغياثي» لأبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨).

والمقصود إجالة الفكر والنظر في المسألة، لتجويد التعامل مع التراث الإسلامي في مسائل السياسة الشرعية.

أولًا: ما ورد في كتاب «الأحكام السلطانية» للقاضي أبي يعلى:

تولية العهد عند الحنابلة ليست عقدًا للإمامة، فلا تحتاج إلى شهادة أهل الحل والعقد ولا إلى رضاهم، وإنَّما يُعتَبَر حضورهم بعد وفاة الإمام للاتِّفاق على المولَّى، هذا حاصل ما ذكره القاضي أبو يعلى (ت: ٤٥٨) في تولية العهد، وسار عليه المصنفون من الحنابلة من بعده[1].

(*) كاتب وباحث شرعي.

(١) ينظر: مختصر المعتمد، لأبي يعلى ص (٢٥١-٢٥٢)، والأحكام السلطانية، له، ص (٢٥-٢٦)، وإيضاح طرق الاستقامة، لابن عبدالهادي، ص (٨٨-٨٩)، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٤٢٢/٢)، وشرح منتهى الإرادات، للبهوتي (٣٨٧/٣).

وإذا كانت تولية العهد ليست عقدًا للإمامة عند الحنابلة فما تكون؟

الجواب: أنها وصيةٌ يُوصي بها الإمام إلى المولَّى، له أن يرجع عنها فيعزل المولَّى في حياتِه، وللمولَّى أن يقبلَها أو يَردَّها، ووقت ذلك بعد موتِ الإمام[١]، فولي العهد له حكمُ (المُوصَى إليه)، و(المُوصَى إليه) - عندهم- هو: «المأذون له بالتصرُّف بعد الموت في المال وغيره مما للوصي التصرف فيه حال الحياة، وتدخله النيابة بمُلكِه وولايته الشرعية»[٢]، قال أبو يعلى: «ولما كان الإنسان مالك التصرف في ماله وعلى أولاده وفي بُضع بناته، ملك أن يوصي بذلك غيرهُ، كذلك الإمام لما كان مالكًا لذلك ملك أن يعهد به إلى غيره»[٣].

وبذا يتبيَّنُ أن تولية العهد عند أبي يعلى والحنابلة إذنٌ بالتَّصرُّف، وليست مجرَّدَ ترشيح[٤].

> **«لا تنعقد الإمامة للمعهود إليه بنفس العهد، وإنما تنعقد بعهد المسلمين»**
> القاضي أبو يعلى الحنبلي

وقد يُعتَرَض بأن اختيار الإمام حق للأمة، فكيف يأذن الإمام بالتصرف في ما لا حق له فيه؟ وكيف يكون ذلك كتصرفه بماله وعلى أولاده وفي بضع بناته؟

ويمكن أن يجاب بالتفريق بين ابتداء عقد الإمامة، وبين الإيصاء وولاية العهد لدى الحنابلة[٥]، والشأن في ذلك كشأن سائر النيابات بالولاية الشرعية في حال حياة الإمام، كنيابة من ينوب عن الإمام في الإمارة أو القضاء أو غير ذلك.

على أنَّ اعتبارَ الحنابلة لحضور أهل الاختيار بعد وفاة الإمام للاتفاق على المُولَّى – كما تقدم – ينفي عن الإمام تُهمة المحاباة لمن أوصى إليه في الصور التي هي مظنة لذلك، كالعهد إلى الأبناء. قال أبو يعلى: «ويجوز أن يعهدَ إلى من ينتسبُ إليه بأبوَّةٍ أو بنوَّة، إذا كان المعهودُ له على صفات الأئمة؛ لأنَّ الإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد، وإنما تنعقد بعهد المسلمين، والتهمةُ تُنتَفى عنه»[٦].

> **قطع الجويني رحمه الله بعدم اشتراط رضا أهل الاختيار على تولية ذي العهد ونفى أن يكون هناك خلاف في المسألة**

ثانيًا: ما ورد في كتاب «الغياثي» لأبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨):

ذكر أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨) هذه المسألة في «الغياثي» فقال: «فإن قيلَ: إذا ولَّى الإمامُ ذا عهد، فهل يتوقَّفُ تنفيذُ عهده على رضا أهل الاختيار في حياتِه أو من بعده؟»[٧].

وجوابه لهذا السؤال تضمن أمورًا:

- الأول: أنه قطعَ بعدم اشتراط ذلك.
- الثاني: أنه استدلّ للقطع بما عُلِم اضطرارًا من عدم وقُوع ذلك من أبي بكر في تولِيتِه عمرَ ﷺ: «فإنَّا على اضطرارٍ نعلَمُ أن أبا بكرٍ ﷺ لما وَلَّى عمر ﷺ لم يُقَدِّمْ على توليته مُراجعةً واستشارةً ومطالعةً، وإذ أمضى فيه ما حاوَلَهُ لم يسترض أحدًا من أهل الاختيار على توافر المهاجرين والأنصار»[٨].
- الثالث: ثم أشار إلى خبرٍ يدل على وقوع ذلك، وسيأتي ذكره.
- الرابع: أنه انتقد الماوردي (ت: ٤٥٠) لحكايته الخلاف في المسألة، دون أن يُسمِّيه.

(١) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى، ص (٢٥)، وإيضاح طُرُق الاستقامة، لابن عبدالهادي، ص (٨٩).
(٢) شرح منتهى الإرادات، للبهوتي (٤٩٣/٢).
(٣) مختصر المعتمد، ص (٢٥١-٢٥٢).
(٤) في كلام بعض الباحثين في السياسة الشرعية - كما في كتاب النظام السياسي الإسلامي مقارنًا بالدولة القانونية للدكتور منير البياتي ص(٣٣٢)- تكييف ولاية العهد على أنها مجرد ترشيح، ونسبة ذلك لأبي يعلى.
(٥) مما يدل على التفريق بين المقامين قول ابن الزاغوني (ت:٥٢٧)، وهو من أتباع القاضي أبي يعلى (ت:٤٥٨): «انعقاد بيعة عمر رضي الله عنه كان بتقليد أبي بكر رضي الله عنه له والوصية إليه، وعندنا أنه يكفي في انعقاد الخلافة ذلك، وإنما كلامنا (يعني في قضية عدد أهل الحل والعقد) في من يبتدأ بانعقاد الإمامة له على الناس، وذلك أمر آخر». الإيضاح في أصول الدين (ص٦٢٣).
(٦) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى ص (٢٥).
(٧) غياث الأمم في التياث الظلم، للجويني ص (٢٩٨).
(٨) المرجع السابق.

» الخامس: أنه انتقل من ذلك إلى انتقاد مجمل منهجية الماوردي في «الأحكام السُّلطانيَّة»، دون أن يُسمِّيه أيضًا.

فالتسليم للجويني بالقطع في المسألة مبني على أمرين: القطع بكذب الخبر الذي ذكره، والقطع بنفي الخلاف في المسألة.

أمَّا الخبرُ الذي جاء في استرضَاء أبي بكرٍ للصحابة ﷺ في اختيار عُمَرَ، فقد روى القاسمُ بن محمد عن أسماء بنت عميس ﷺ –وهي حينئذٍ تحت أبي بكر ﷺ– قالت: جاء طلحةُ حتى دخل على أبي بكر وقال: استخلفتَ على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم، وأنت ملاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك، فقال أبو بكر: أجلسونيِ، فأجلسوه، فقال: أبالموت تفرقوني؟ أم بالله تخوفونني؟ إذا لقيت الله فسألني قلت: استخلفتُ عليهم خير أهلك[1].

ورواه يوسف بن ماهَك عن عائشة أم المؤمنين ﷺ بنحو ما رواه القاسم عن أسماء ﷺ، وفيه أنّ عليًّا ﷺ دخل مع طلحة[2].

والخبر ثابتٌ بمجموع طُرُقِه.

أما حكاية الخلاف في المسألة، فقد حكى الماوردي الخلاف فيها في كتابين:

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» برقم (٩٧٦٤) عن معمر [ورواه من طريق عبد الرزاق: إسحاق بن راهويه في «مسنده» برقم (٢١٤٦)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١٥٢/٢)، والفاكهي في «أخبار مكة» برقم (١٨٠٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤٩/٤٤-٢٥٠)]، وأحمد في «فضائل الصحابة» برقم (٤٨٥) من طريق الوليد بن محمد الموقري (وهو متروك)، والآجري في «الشريعة» برقم (١٢٠١) من طريق شعيب بن أبي حمزة، وأبو نعيم في «تثبيت الإمامة» برقم (٦١) و«فضائل الخلفاء» برقم (٢٠٢) عن يونس [وأخرجه من طريق أبي نعيم: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤٩/٤٤-٢٥٠)]، وأبو نعيم في «فضائل الخلفاء» برقم (٢٠٢) عن ابن إسحاق (واللفظ له)؛ خمستُهم (معمر وشعيب ويونس ومحمد بن إسحاق والوليد) عن الزهري به. وقال معمر: فقلت للزهري: ما قوله: خير أهلك؟ قال: خير أهل مكة. وللحديث شاهدان منقطعان: (الأول): أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» برقم (٩٤٢) من طريق سعيد بن المرزبان، وأبو نعيم في «تثبيت الإمامة» برقم (٦٤) وفي «فضائل الخلفاء» برقم (٢٠٤) وفي «حلية الأولياء» (٣٦/١) من طريق فطر بن خليفة كلاهما عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط. (والثاني): أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» برقم (٣٢٠١٣) والخلال في «السنة» من طريق إسماعيل ابن أبي خالد عن زيد اليامي.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٧٤/٣) [ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥١/٤٤)] من طريق يوسف بن ماهك عن عائشة رضي الله عنها. وجاء من طريق آخر عن عائشة رضي الله عنها، وهو ما أخرجه محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٧٤/٣)، وأبو بكر الرزاز كما في «مجموع فيه مصنفاته» برقم (٤٨٤) [ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» برقم (١٦٥٧٥)، ومن طريق البيهقي ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥٠/٤٤)] من طريق الحسن بن مكرم البغدادي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥٠/٤٤) من طريق بكار بن قتيبة ومحمد بن يزيد أربعتهم (ابن سعد والحسن وبكار وابن يزيد) عن سعيد بن عامر عن صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها.

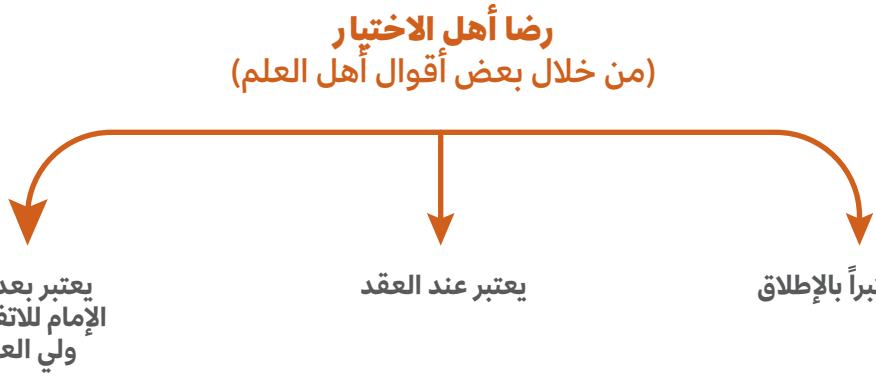

ذهب الماورديّ وغيره من الشافعية إلى اشتراط الاسترضاء لانعقاد الإمامة، وبذلك لم تكن المسألة عند الشافعية إجماعية قطعية، بل فيها خلاف.

الأول: «الأحكام السلطانية»[١] قال فيه: «اختلفوا: هل يكون ظهور الرضا منهم شرطًا في انعقاد بيعته أو لا؟ فذهبَ بعضُ علماء أهل البصرة إلى أنَّ رضا أهل الاختيار لبيعتِه شرطٌ في لزومها للأمة، لأنَّها حقٌّ يتعلَّقُ بهم، فلم تلزمهم إلا برضا أهل الاختيار منهم».

والثاني: «الحاوي الكبير»[٢]، وهو شَرحُه على مختصر الإمام المزني في فروع الشافعية، قال فيه: «على أن من أصحابنا من جَعَلَ صحَّةَ استخلاف الإمام بعده لإمام، مُعتَبَرًا برضا أهل الحل والعقد، ورضاهم أن يعلَمُوا به فلا يُنكروه، كما علمتِ الصحابةُ باستخلاف عمر ﷺ، فجعل إمساكهم عن الإنكار[٣]، رضا به انعقدتِ به الإمامة له.

فعلى هذا الوجه: لو استخلف إمامًا بعده، ولم يعلم به أحدٌ من أهل الحل والعقد: لم يصح استخلافه، ولم تنعقد إمامَتُه، إلا أن يُجمع عليه ويرضى بعد موت الأول ممن يصح اختياره من أهل الحل والعقد.

وهذا النصّ نقله عن الماوردي من أئمة الشافعية الشارحين لمختصر المزني: أبو المحاسن الرُّويَاني (ت: ٥٠٢)[٤].

والخلاف حكاه القاضي أبو سعد الهروي (ت: ٥٠٠ تقريبًا) في كتابه «الإشراف على غوامض الحكومات»[٥] الذي شرح به كتاب «أدب القضاء» لشيخه أبي عاصم العبادي (ت:٤٥٨) فقال: «وإن استخلف إمامٌ عادل خليفةً جاز؛ لأن أبا بكر ﷺ فَعَلَه».

«ومن أصحابنا من قال: إنه لا يجوز إلا برضا الناس، لأنَّ أبا بكر ﷺ استرضى الناس فسَكَتُوا ورَضوا، ولأنَّ معاويةَ لما استخلف قيل له: قد جعلت الخلافة إمارةً كسروية يرد الأب إلى الابن».

فتبين من هذا: أن حصول مُراجعة من بعض الصحابة، واسترضاءٍ لهم من أبي بكر ﷺ، حتى رجعوا إلى قوله، ليس من المعلوم اضطرارًا نفيُه، وأن من الفقهاء من ذهب إلى اشتراط الاسترضاء لانعقاد الإمامة، وبيَّنوا مرادهم بذلك، فالقول بأن المسألةَ إجماعيَّةٌ قطعيَّةٌ -كما ذهب إليه الجويني- محلُّ نظرٍ، لما تقدم، والله أعلم.

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي ص (٣١).
(٢) الحاوي الكبير، للماوردي (٣٣٩/٨-٣٤٠).
(٣) ولا يُعارِض ما ذكراه من إمساك الصحابة عن الإنكار لما جاء عن طلحة في الخبر المتقدم ذكره، وفي ذلك يقول ابن تيمية جوابًا على دعوى الرافضي الاختلاف في تولية عمر: «جعل مثل هذا خلافًا! فقد كان مثل هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: قد طعن بعضُ الصحابة في إمارة زيد بن حارثة، وبعضُهم في إمارة أسامة ابنه، وقد كان غير واحد يطعن فيمن يولِّيه أبو بكر وعمر، ثم إنَّ القائل لها كان طلحة وقد رجع عن ذلك وهو من أشد الناس تعظيمًا لعمر، كما أنَّ الذين طعنوا في إمارة زيد وأسامة رجعوا عن طعنهم طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم». منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٣٥٠/٦).
(٤) بحر المذهب، للروياني (١٤٥/٨-١٤٦).
(٥) ص (٧٤٦).

تزكية

إشارات منهجية في صحبة مدارج السالكين

أ. أحمد سامر إيبش (*)

كتاب «مدارج السالكين» للإمام «ابن القيم» عليه رحمة الله من الكتب التي لقيت العناية والاهتمام من أهل العلم على مر السنين؛ لمحتواه الذي يركز على تزكية النفس وتطهيرها، وأحوال السلوك وطريق السير إلى الله تعالى، وهو شرح لكتاب «منازل السائرين» للإمام «الهروي» رحمه الله، وفي هذا المقال إشارات منهجية منتقاة، وتعليقات لطيفة على بعض ما في الكتاب.

القراءة المقاصدية المنهجية ضربٌ من ضروب قراءة الكتب والمصنفات، لا يُعنى فيها الشارح أو القارئ بتناول جميع ألفاظ الكتاب ومسائله، أو قراءة جميع فصوله وأبوابه، بل يقصد إلى بيان الأصول الكلية للكتاب مشيرًا إلى طريقة ومنهجية المؤلف في التصنيف، وقراءة أبرز فصول الكتاب بما يخدم هذه الفكرة[1].

التزكية والسلوك:

خلق الله السموات والأرض والثقلين، وبعث الأنبياء وأنزل الكتب من أجل غاية واحدة وهي عبادته سبحانه وتعالى إلهًا واحدًا لا شريك له، وقد كان سيدنا محمد ﷺ خير العابدين وسيد المحبين، وكان يُعلِّم أصحابه الإيمان قبل القرآن، فلما تعلَّموا القرآن ازدادوا به إيمانًا كما أخبر بذلك سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه[2]، مما يدل على مركزية التزكية وحضورها في تربية النبي ﷺ لأصحابه.

ولم يزل على ذلك حتى فاضت روحه إلى بارئها وقد ترك أمته على «المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»، وسار على ذلك الصحابة الكرام من بعده، فكان هديه يَسُوسهم ويحفظ سيرهم عن الانحراف والزيغ، حتى خلف من بعدهم خلف فيهم المسدَّد المقارِب لخطى الأولين، والشاطط عن دربهم ومنهجهم، إما بذوق فاسد أو رأي دخيل أو بدعة مُضِلَّة، ليبقى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الحجّة التي يُقاس إليها كلُّ رأي وكلُّ منهج، وكتاب مدارج السالكين من الكتب المهمة في توضيح أسس علم السلوك والتزكية، وضبطه على المنهج القويم.

(*) كاتب مهتم بالقضايا التربوية والفكرية.

(١) المقال صياغة ذاتية لبعض الفوائد والإشارات المنهجية التي خرج بها الكاتب من مجالس قراءة كتاب «مدارج السالكين» الذي أقامها الشيخ «أحمد السيد» في رمضان عام ١٤٤١ هجري، وهي مسجلة مرفوعة على موقع اليوتيوب، ينظر: «مقاصد مدارج السالكين».

(٢) أخرجه ابن ماجه (٦١).

تناول ابن القيم كلام الهروي مؤلف «منازل السائرين» على أحسن معانيه على الرغم من الاختلاف معه في العديد من المسائل، وفي ذلك إشارات منهجية إلى الأثر المعرفي لحسن الظن زيادة على ما فيه من الأدب

«منازل السائرين» .. كتاب ومؤلف:

مؤلف الكتاب هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن الأنصاري الهروي (٣٩٦هـ – ٤٨٤هـ)، شيخ خراسان، إمامٌ في الحديث والتفسير، يدخل على الملوك والسلاطين فلا يهابهم، وكان له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، وكان عندهم أطوع وأرفع من السلطان[١].

قال في سبب تأليف كتاب «منازل السائرين»: «إنَّ جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عزَّ اسمه من الفقراء من أهل هراة والغرباء طال عليَّ مسألتهم إياي زمانًا أن أبين لهم في معرفتها بيانًا يكون على معالمها عنوانًا فأجبتهم بذلك بعد استخارتي اللهَ واستعانتي به، وسألوني أن أرتبها لهم ترتيبًا يُشير إلى تواليها ويدلُّ على الفروع التي تليها وأن أُخْلِيَه من كلام غيري وأختصره ليكون ألطف في اللفظ وأخف للحفظ»[٢].

وقال مبينًا نهجه ومستنده في التأليف: «تصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنن»[٣]. فبين بذلك أنه متابع لسنة النبي ﷺ مُعظِّم لحديثه.

لكن مع عِظَم منزلة الشيخ، وتمسُّكه بالكتاب والسنة، ووقوفه تلك المواقف العظيمة في نصرتها، إلا أنه كانت له بعض الزلّات مما كان ينبغي له الابتعاد عنه كما ذكر ذلك الإمام الذهبي في ترجمته له[٤]، وكما استدرك عليه الإمام ابن القيم ذلك في كثير من المواضع من كتابه مدراج السالكين كما ستأتي الإشارة إليه.

كتاب «مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:

ابتدأ الإمام ابن القيم الكلام في كتابه عن سورة الفاتحة وما اشتملت عليه من معارفَ ولطائف، وما تضمّنته من الردِّ على الفرق والطوائف من أهل البدع والضلال، «وما تضمنته من منازل السائرين ومقامات العارفين والفرق بين وسائلها وغاياتها ومواهبها وكسبياتها».

ثم عقد فصولًا طويلة في الحديث عن أصول الدين التي حوتها سورة الفاتحة، والردِّ على كثير من المقولات والأفكار، وولج في الكلام عن المنازل والمقامات، مبينًا أنَّ الأصل في الكلام فيها «أن نذكر منازل العبودية الواردة في القرآن والسنة»، وأنَّ الترتيب فيها والتصنيف الذي اعتاد عليه أرباب السلوك واقع تحت تحكُّمهم وسيرهم ولهم فيه اختلاف كبير، ثم عاد وبيَّن أنَّ تناوله لهذه المنازل التي ذكرها الهروي هو من باب «مخاطبة أهل الزمان باصطلاحهم» وأنه من باب ضرب الأمثال.

وقد تناول الإمام ابن القيم كتاب «منازل السائرين» بالشرح والتعليق على الرغم من الاختلاف معه في العديد من المسائل، وتناول كلامه أثناء ذلك على أحسن معانيه، وفي ذلك إشارات منهجية مهمة قبل كل شيء إلى الأثر المعرفي الكبير لحسن الظن زيادة على ما فيه من الأدب[٥]، فلو أنَّ ابن القيم أعرض عن كتاب «منازل السائرين» بحجّة ما فيه من أغلاط أو زلات، أو أهمله تحت تأثر مخالفته للإمام الهروي لما خرج إلينا كتاب «مدارج السالكين» الذي أصبح عمدة في باب التزكية والسلوك.

لو أنَّ ابن القيم أعرض عن كتاب «منازل السائرين» بحجّة ما فيه من أغلاط أو زلات، أو أهمله تحت تأثر مخالفته للإمام الهروي لما خرج إلينا كتاب «مدارج السالكين» الذي أصبح عمدة في باب التزكية والسلوك

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٠٩/١٨).
(٢) منازل السائرين (٤/١).
(٣) المرجع نفسه (٦/١).
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء (٥١٠/١٨).
(٥) ينظر مقال: عُجمة الفهم، لبدر الثوعي، المنشور على صفحته على الفيس بوك.

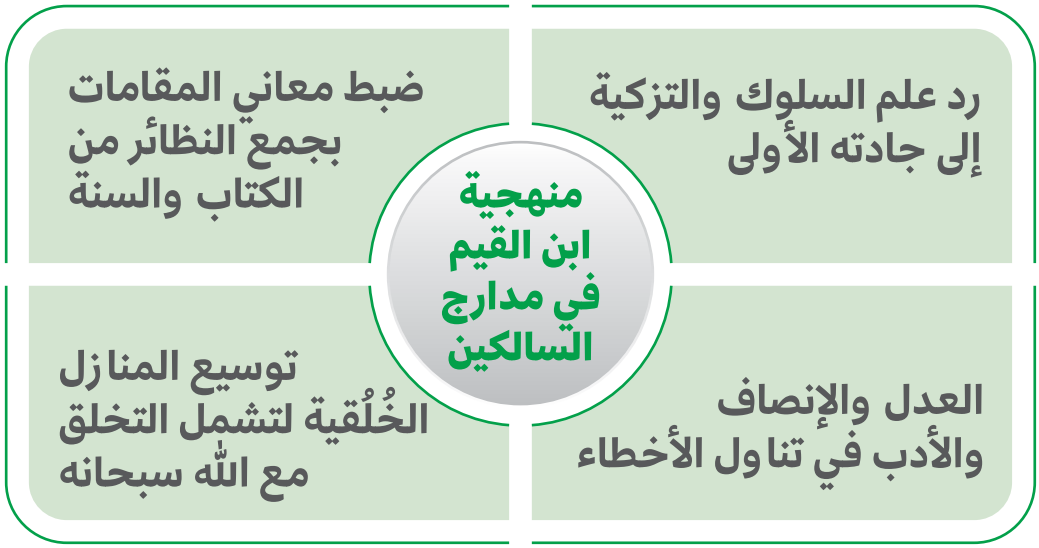

أهم التعليقات المنهجية المستفادة من قراءة كتاب «مدارج السالكين»:

أولًا: الاستشهاد بأقوال أهل السلوك الأوائل في معرض الرد على الانحرافات التي طالت متأخريهم:

سبقت الإشارة إلى أن علم السلوك والتزكية شابته شوائب فابتعد عن الجادة الأولى التي أرسى بيارقها أصحاب السلوك الأوائل، لذلك فإن ابن القيم استدلَّ على أصحاب هذه الانحرافات بكلام رؤوس «القوم» أو «الطائفة» كما يطلق عليهم، وهؤلاء السادة الأكارم محل إجماع وإكبار عند عامة المسلمين وعلمائهم، وهم ممن شهد لهم علمهم وسلوكهم على حسن إيمانهم، فيُلزم أصحاب هذه الانحرافات بأقوال هؤلاء الفضلاء، ويبيِّن لهم فساد أقوالهم من أقوال من يُجلُّونهم ويُعظِّمونهم وذلك من أجل الفقه والفهم، وإلزام المخالف انطلاقًا مما يؤمن به.

والشواهد من الكتاب على هذا كثيرة جدًا، ومن ذلك:

- استشهاده على أنَّ الأَولى في ذكر منازل العبودية ومقاماتها اتِّباع نهج السادة الأوائل، الذين تكلَّموا عنها من غير ترتيب ولا حصر للمقامات حيث قال: «فكلام أئمة الطرق هو على هذا المنهاج لمن تأمله، كسهل بن عبد الله التستري وأبي طالب المكي والجنيد بن محمد وأبي عثمان النيسابوري ويحيى بن معاذ الرازي، وأرفع من هؤلاء طبقة مثل أبي سليمان الداراني وعون بن عبد الله الذي كان يقال له: حكيم الأمة وأضرابهما، فإنهم تكلموا على أعمال القلوب وعلى الأحوال كلامًا مفصلًا جامعًا مبينًا مطلقًا من غير ترتيب ولا حصر للمقامات بعدد معلوم».
- استشهاده بسادات القوم وكُبرائهم ليدلَّ على أن السير إلى الله وطرائق عبوديته يجب أن تكون منضبطة بضابط الكتاب والسنة، فنقل عن أبي سليمان الداراني قوله: «تُعرض علي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدَي عدلٍ: الكتاب والسنة».

ونقله عن الجنيد قوله: «مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يُقتدى به في طريقنا».

يمتاز الإمام ابن القيم رحمه الله بسعة الاطلاع على مصادر الكتاب والسنة، مع علوّ الكعب في الفهم والشرح، فلا يكاد يذكر «منزلة من منازل السائرين» حتى يسوق لها جملة من الآيات والأحاديث

ثانيًا: العدل والإنصاف مع الإمام الهروي عند بيان الأخطاء، والأدب في التعامل معها:

شيخ الإسلام الهروي عالم من العلماء الأجلّاء الذين تكلَّمت عنهم مواقفهم قبل ألسنتهم في نصرة الدين وبذل العمر في سبيل العلم والتعليم، ومع ذلك فإنَّ كتابه «المنازل» لم يخلُ من بعض «شطحات القوم» وفرائدهم التي تفرَّدوا بها عن غيرهم، لكن الإمام ابن القيم يسطِّر أروع مشاهد أدبِ الخلاف وحمل الكلام على أفضل معانيه في معرض الرد عليه وبيان فساد بعض أقواله، وذاك خلق عزّ اليوم وجود مثيله في ساحات الخلاف بين أهل العلم.

ومن أمثلة ذلك:

- افتتح كلامه في التعليق على كلام الهروي في منزلة «الرجاء» (الرجاء أضعف منازل المريدين) بقوله: «شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه، وكل مَن عدا المعصوم فمأخوذ مِن قوله ومتروك ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه».
- قال في منزلة التوبة بعد أن رد على الهروي: «لا توجِب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدارَ محاسنه وإساءة الظن به، فمحله من الإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يجهل».
- قوله بعد استدراكه على كلام الهروي عن منزلة الشكر بأنه من «سبل العامة»: «يا ليت الشيخ صان كتابه عن هذا التعليل، إذ جعل نصف الإسلام والإيمان من أضعف السبل»، ثم قال بعد أن قرر بعض الردود عليه: «هذا غاية تقرير كلامهم، وكسوته أحسن عبارة، لئلا يتعدى أحد عليهم بسوء التعبير الموجب للتنفير».

ثالثًا: جمعه للنظائر من القرآن والسنة في تحرير معاني المقامات التي تناولها:

يمتاز الإمام ابن القيم رحمه الله بسعة الاطلاع على مصادر الكتاب والسنة، مع علو الكعب في الفهم والشرح، فلا يكاد يذكر «منزلة من منازل السائرين» حتى يسوق لها جملة من الآيات والأحاديث، ومن خلال هذا الجمع يحرر المعنى بأدق عبارة، مبينًا بذلك الضوابط والحدود التي ترسمها وتميزها عن غيرها، وجمعُ النظائر من القرآن والسنة والتفكر في معانيها وأسباب نزولها ومكان ورودها ومناسبة موضوعها وسياقها هو من أجلِّ سُبُل الفهم والإحاطة بالعلم.

والشواهد في هذا الباب أكثر من أن تُعرض، إذ لا تخطئ العين هذا النهج لابن القيم في افتتاح كل منزلة من المنازل، **ومن الأمثلة على ذلك:**

- قول ابن القيم: «فصل: ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الصبر»، ثم قال: «وهو مذكور في القرآن على ستة عشر وجهًا» ثم سردها.
- وقال: «فصل: ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الاعتصام»، ثم قال بعد ذلك: «وهو نوعان: اعتصام بالله واعتصام بحبل الله» ثم سرد الآيات التي ورد فيها ذكر الاعتصام.
- وقال أيضًا: «فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة اليقين»، ثم تتبع ورود هذه المنزلة في القرآن وتزاوجها مع الصبر، وانتفاع أهلها بالآيات، واختصاصهم بالهدي والفلاح، إلى غير ذلك من المعاني التي تحدثت فيها الآيات عن منزلة اليقين.

> **لا تخطئ العين تأثر الإمام ابن القيم بشيخه ومُعلمه، فالنَّفَس «التيمي» حاضرٌ بقوة في كتابات ابن القيم، وكلٌّ منهما له أسلوبه وعلمُه الذي لا يغني عن الآخر**

رابعًا: تفتيقه للمعاني في المنازل الخُلقية وبيان بعض وجوه معانيها حال كونها بين العبد وربه:

تناول ابن القيم بعض المنازل الخُلقية بطريقة جمع النظائر والبحث فيها، لكن اللافت في تناوله لهذه المنازل هو التنقيب في معانيها ليُبين بعض وجوهها التي ينبغي على العبد التحلي بها تجاه ربه، وبذلك يخرج الخُلُق من مساحة التخلق به مع الناس إلى مساحة التخلق به مع الله سبحانه وتعالى.

ومن أمثلة ذلك في الكتاب:

- قوله في منزلة الأدب: «والأدب ثلاثة أنواع، أدب مع الله سبحانه وتعالى، وأدب مع رسوله، وأدب مع خلقه».

- وقال في منزلة الفتوة بعد أن ذكر درجاتها: «هذا في حق نفسه، أما في حق ربه، فالفتوة أن يخاصم بالله وفي الله ويحاكم إلى الله كما كان يقول ﷺ: (وبك خاصمت وإليك حاكمت)، وهذه درجة فتوة العلماء الدعاة إلى الله تعالى.
- وقال في منزلة المروءة: «الدرجة الثالثة: المروءة مع الحق سبحانه: بالاستحياء من نظره إليك واطلاعه عليك في كل لحظة ونفس ...».

خامسًا: حفاوته بشيخه ومعلمه تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية:

الإمام ابن القيم تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، رافقه في حله وترحاله وسجن معه ولاقى معه ما لاقى من صنوف العذاب والإساءة، ولا تخطئ العين تأثر الإمام ابن القيم بشيخه ومعلمه، فالنَّفَس «التيمي» حاضرٌ بقوة في كتابات ابن القيم، ولا يعني هذا أنه لم يأت بجديد بعد شيخه، بل كل منهما له أسلوبه وعلمه الذي لا يغني عن الآخر.

وهذه الحفاوة تتمثل في أمور كثيرة، منها ألفاظ التبجيل والاحترام التي يتحدث فيها عن شيخ الإسلام، والاستشهاد بأقواله في التفسير والقضايا الإيمانية أو ببعض القصص والمواقف التي خصَّ بها ابن تيمية تلميذه، وأخذه بالكثير من اختيارات شيخه العلمية، ولعل ما سبق من منهجيات اتبعها «ابن القيم» في كتاب «مدارج السالكين» خير دليل على تأثره بشيخه وتتبعه طريقته.

تناول ابن القيم بعض المنازل الخُلقية بطريقة جمع النظائر والبحث فيها، لكن اللافت في تناوله لهذه المنازل هو التنقيب في معانيها ليُبين بعض وجوهها التي ينبغي على العبد التحلي بها تجاه ربه، وبذلك يخرج الخُلُق من مساحة التخلق به مع الناس إلى مساحة التخلق به مع الله سبحانه وتعالى.

وفي الختام:

هذه زهرات منتقيات، وقطوف مختارة من الإشارات المنهجية التي يزخر بها كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم رحمه الله، تعطي فكرة عن قيمة الكتاب في مجال التصفية والتزكية، على أساس علمي راسخ، وقاعدة منهجية متينة، حري بمن رام سلوك الطريق وولوج منازل إياك نعبد وإياك نستعين أن يضع نصب عينيه اصطحابَ مدارج السالكين والنهلَ من معينه.

قضايا معاصرة

مشكلة الشرّ: صخرة الإلحاد تحت المجهر

م. عبد القادر معن (*)

الحديث في «مشكلة الشر» مسألة قديمة، لكنها في الوقت الحالي أصبحت شبهة مركزية في دعم الإلحاد، وتناولها في هذا المقال سيكون استنادًا إلى قطعيّات الكتاب والسنة، من خلال منطلقها الرئيس فيما يتعلق بالكمال الإلهي، ودرء التعارض المطروح بين كمال صفات الخالق سبحانه ووجود الشر، مع الإجابة عن العديد من التساؤلات المتفرعة من هذه الشبهة

مقدمة:

في خضمِّ ما يقع على المسلمين اليوم في شتى بقاع الأرض، مِن قتل وتعذيب وتشريد، واضطهاد وظلم واستعباد، يعود من وفّقهم الله إلى توجيهات الوحي للتَّثبيث والتطمين، وبيان الموقف الذي يجب أن يتّخذوه من هذه المصائب، وكيفية التعامل معها، فتسكن قلوبهم، ويكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

لكن الشيطان قد ينزغ في قلوب آخرين، فيوقع في قلوبهم الحيرة والشكَّ قائلًا لهم: «ترون كلَّ هذه الشرور والمصائب والكوارث تقع، وكيف يعيث الظَّلَمة في الأرض فسادًا وتخريبًا، فهل يستوي عقلًا أن يقع كل ذلك مع وجود الله؟! أما كان له أن يمنع كل ذلك، ويجنب المسلمين بل والبشرية جمعاء هذا الظلم والقهر؟!». ثم إذا نجح في إيقاعهم في شباكه وبث الشك فيهم أجابهم: «لا يمكن ذلك إلا باحتمالين، إما أن تكون صفات الكمال ناقصة أو منعدمة في هذا الرب، أو أن يكون وجوده معدومًا بالكلية!»، ويزيد قائلًا: «وجود الشر في هذا العالم يتنافى مع أن يكون هذا الربّ عليمًا؛ لأنّ علمه يقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتنافى مع أنه قدير؛ لأن قدرته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتنافى مع أنه رحيم؛ لأن رحمته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود. ولذلك فإنّ وجود الشر ينفي وجود هذا الإله الذي لا يمكن أن يفتقد الصفات الثلاث السابقة جملة»[1].

(*) ماجستير في الإدارة الهندسية، خرّيج برنامج صناعة المُحاور. مهتم بالمجال الفكري.

(١) مشكلة الشر ووجود الله، د.سامي عامري، ص (٢٢).

تُعرَف هذه المشكلة بـ «مشكلة الشر»، وهي من أشهر المشكلات القديمة المتجدِّدة التي يطرحُها الخطاب التشكيكي الإلحادي، حتى إنَّه يُطلق عليها عند البعض «صخرة الإلحاد» كونها واحدة من أقوى الشبهات المركزية التي «تدعم» فكرة الإلحاد بزعمهم. وفي المقابل طُرحت الكثير من محاولات الإجابة عن هذه الإشكالية من الكثير من الشخصيات على مختلف مذاهبهم ومعتقداتهم، وتباينت مسالكهم في ذلك.

وهذا المقال إسهام في تقديم إجابة مختصرة، بالاستناد إلى قطعيات الدين من الكتاب والسنة.

لا تعارُض بين وجود الله ووجود الشر:

ينطلق منكرو وجود الله بناء على «مشكلة وجود الشر» من ما يعرف بـ(مشكلة الشر المنطقية)، والتي تُطرح بالتسلسل التالي: «لا يستقيم منطقيًا أن يسمح الإله الكامل بوجود الشر، فبما أنَّ الشر موجود، فإذن: الإله غير موجود».

وهو تسلسلٌ هشٌّ مُضطرب، أقرَّ باضطرابه الملاحدة أنفسهم. كما ذكر الفيلسوف الأسترالي جي. إل. ماكي: «فالاحتجاج بوجود الشر لنفي وجود الخالق يعد قفزة غير منطقية واستنتاج خائب»[1]. ويعود ضعف هذا الاستدلال للأسباب الآتية:

أ. إثبات وجود الخالق ينبني على أدلة عقلية وفطرية، منها: خلق الكون وإنشاؤه من العدم، واتساقُه وانتظامُه على هيئةٍ يستحيل أن تنشأ صدفةً دون خالق، وغيرها من الأدلة. وفي المقابل فإن نفي وجود الخالق يستوجب إثبات إمكانية نشوء هذا الكون دون تدخل الخالق، من خلال نظرية المصادفة وغيرها. فمناقشة مسألة وجود الخالق من عدمه مبنية على هذا النوع من الأدلة، ولا يؤثر فيها ولا يتعلق بها وجود الشرِّ من عدمه، بل هي مسألةٌ طارئةٌ منفصلةٌ عن إثبات الوجود، وغايةُ ما يمكن أن تُحدثه مشكلة الشر هو طرح استشكالات حول كمال هذا الخالق، لا حول وجوده.

ب. الخلل الحقيقي في تسلسل هذا الاستدلال يكمن في التصوُّر الخاطئ للكمال الإلهي المطلق، وهي المقدمة التي بنى عليها أصحاب هذا التسلسل استنتاجهم الإنكاري. فالملاحدة يختزلون تصوُّرهم للكمال الإلهي في عددٍ من الصفات كالرحمة والقُدرة والعلم، ويفهمونها بتصوُّرهم هم، ثم يستنتجون وجوب منع وقوع الشر بالكلية.

> **يختزل الملاحدة تصوُّرهم للكمال الإلهي في عددٍ من الصفات، ويفهمونها وفق تصورٍ فاسد، ثم يستنتجون وجوب منع وقوع الشر بالكلية، مغفلين وجود حِكم وجوده وأسبابها**

والرد على ذلك: أنَّ الكمال الإلهي يشمل اتصاف الإله بهذه الصفات وغيرها، كالحكمة والخبرة والعدل، وكل صفة منها لها آثارها ومقتضياتها، وهي متكاملة فيما بينها. بالإضافة إلى صحة فهم معاني تلك الصفات على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وبناء على هذا التصور الصحيح الكامل تكون النتيجة: أنَّ وجود الشر ليس قادحًا في الكمال الإلهي، بل قد يقدّر الإله وجود الشر لِحكم وأسباب هو أعلم بمدى صلاحيتها وخيريتها، وهذا من كمال حكمته وعلمه، وفي المحور القادم مناقشة أكثر تفصيلًا لإثبات عدم تعارض كمال صفات الله مع وجود الشر.

لا تعارُض بين كمال صفات الله من علم ورحمة وقدرة، ووجود الشر:

وبيان ذلك كما يلي:

١- لا تعارُض بين علم الله وعدم منعه للشر:

فالقول بالتعارض بين علم الله ووجود الشر ناشئٌ عن قصورٍ في معرفة حِكَم الله سبحانه والغاية من خلق الحياة. فالحكمة الأساسية هي ابتلاء الناس واختبارُهم، وذلك لا يكون إلا بوجود الشر، ليحصل الصراع بينه وبين الخير، ويتدافع الحق والباطل. وأظهرُ الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والأدلة على ذلك كثيرةٌ منثورةٌ في القرآن والسنة.

فالغاية من خلق الحياة كما أخبر الله سبحانه ليست التنعّم الأبدي، ولا الخلود والركون للدنيا، ولا

(١) كتاب «evil and omnipotence» ص (٢٠١).

السعي وراء الملذّات والشهوات، بل العمل للآخرة، فكون الابتلاء هو الحكمة من الحياة يقتضي عدم دوام النعيم في الدنيا، ويقتضي أيضًا عدم خلوّها من المنغّصات والشرور، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥].

ادّعاء التعارُض بين علم الله ووجود الشر؛ مبنيٌّ على مقدمةٍ خاطئةٍ بأنَّ الله خلق الحياة للنعيم الأبدي، والصواب أنَّ الله خلق الحياة للابتلاء الذي لا يمكن أن يقع إلا بوجود الشر.

وهنا يتبيَّن مكمن الخلل في ادّعاء التعارُض بين علم الله ووجود الشر؛ إذ هو مبنيٌّ على مقدمةٍ خاطئةٍ بأنَّ الله خلق الحياة للنعيم الأبدي، وبالتالي فعلى الإله أن يمنع وجود أي شرٍّ ينغّص على هذا النعيم الذي خلق الحياة لأجله، فإن لم يفعل فإما أنه غير موجود، أو غير كامل الصفات!

والصواب أن الله الذي خلق الحياة للابتلاء لا يخفى عليه وجود الشر الذي لا يُمكن الابتلاء إلا به.

٢- لا تعارُض بين رحمة الله ووجود الشر:

من القواعد المستقرة عند أهل العلم أنه لا يوجد شرٌ محضٌ في هذه الدنيا، ففي طيّات الشر الكثيرُ من الرحمات للخلق، فإما أن تكون الرحمة المترتبة على هذا الشر في الآخرة كمغفرة الذنوب ورفع الدرجات، وإما أن تكون عاجلة في الدنيا، كدفع لشرٍّ أكبر، أو فتح لأبواب أخرى من الخير. ألا ترى أن الأب على شديد حبه لولده قد يأذن بعمل عملية جراحية له على ما فيها من الألم، ولكن في هذه العملية إزالة لشر أعظم ومنع لألم أكبر مستقبلًا، ولله المثل الاعلى وهو أرحم الراحمين، ولا يحيطون به وبحكمته علمًا سبحانه.

في طيّات الشر الكثيرُ من الرحمات للخلق، فإما أن تكون الرحمة في الآخرة كمغفرة الذنوب ورفع الدرجات، وإما أن تكون عاجلة في الدنيا، كدفع لشرٍّ أكبر، أو فتحٍ لأبواب أخرى من الخير.

بل حتى ما يظنه البعض شرًا محضًا مثل الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين، ففيها من الفوائد التي تساهم في استقرار الناس على الأرض واستفادتهم من ثرواتها. فالزلزال «صمام يحرر الطاقة المتجمعة والمختزنة في القشرة الأرضية، بدفعات يُقدرها الخالق ـ عز وجل ـ كتنفيس لحالات الحراك الباطني للقشرة الأرضية، و لولا الزلازل لانفجرت القشرة الأرضية وتهشمت»[١]. والمواد البركانية غنية بعدد من المعادن الهامة التي تستخدم في الصناعة والزراعة، والينابيع الحارة المتكونة من البركان تستخدم في علاج الأمراض الجلدية، وتعد التربة الغنية بالرماد البركاني واحدة من أخصب أنواع التربة. بالإضافة للفوائد الاقتصادية من تحريك عجلة الاقتصاد والإنتاج لتعويض الأضرار، وحركة العلم لتفادي الأضرار المستقبلية والتعامل مع الأضرار الحالية، والفوائد الاجتماعية من استخراج ما في النفوس مِن تراحم وتعاون وتعاضد، بالإضافة لنشوء علاقات التعارف وتقوية الموجود منها، وغير ذلك كثير.

إذا قُيّم ما حدث في سورية بناء على الغايات الكبرى والمعايير الشرعية الحقيقية، لوُجِد في طيّاته الخير الكثير وأنواع الرحمة العاجلة والآجلة، رغمًا عن الشر العظيم الذي وقع.

ومما يُذكر في هذا المقام ما حدث في سورية خلال العقد الماضي، فكما أنه حدث من الشرِّ العظيم من قتلٍ وتعذيبٍ واضطهادٍ وتهجير، فيمكن تلمُّس ما حدث من الخير الكثير، ومن ذلك:

- رجوع الناس إلى دينهم بعد تغييب متعمد ممنهج، وإصلاح نفوس الناس التي فسدت خلال مدة حكم هذا النظام المجرم، فإصلاح النفوس وقربها من الله غاية من غايات الوجود في هذا الكون.
- تحرر أعداد كبيرة من الناس من تحت حكم هذا النظام الخبيث الذي جثم على صدور الناس عقودًا من الزمن، وما ترتب على ذلك من فوائد علمية وفكرية كبيرة على الجيل الحالي أو القادم.

(١) صحيفة تواصل، تغريدات د.عبد الله المسند.

أثر صحة المقدمات في فهم الحكمة من وجود الشر

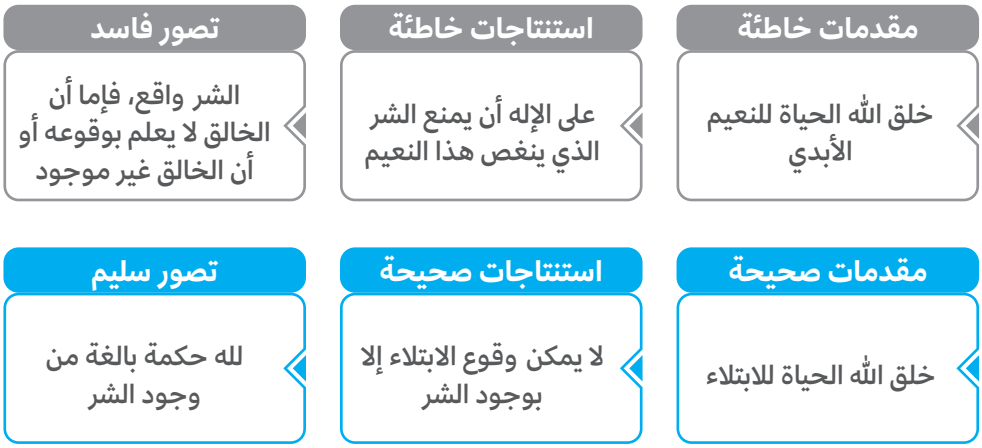

- اتخاذ الشهداء، فرغم ألم القتل فإنَّ الشهيد يتمنى أن يرجع للدنيا لما يرى من الرحمة التي ينالها في الآخرة. ومع الأعداد الكبيرة للشهداء – تقبلهم الله- وشفاعة كل منهم لسبعين من أهل بيته، فلعل في ذلك شفاعة لأعداد غفيرة من أهل سورية بإذن الله.
- إنهاك هذا النظام المجرم وإذلاله وفضحه، وازدياد انكشاف المخطط الصفوي الذي كان يُراد لبلاد المسلمين والذي طالما انخدع به عدد كبير من الناس.

كلُّ هذه المكاسب ينبغي أن تقيّم بناء على الغاية من خلق هذا الكون والمعايير الشرعية الصحيحة لمعرفة حجمها الحقيقي.

٣- لا تعارُض بين قدرة الله وعدم منعه لوقوع الشَّر:

فلحكمة الابتلاء والاختبار في هذا الدنيا أوجد الله إمكان وقوع الشَّر، فمنعُ وقوعِ الشرِّ تمامًا بعد أن أوجَدهُ للابتلاء يحوِّله إلى موجود معدوم في آن واحد، وهذا ليس بشيء على الحقيقة، بل محال، فلا تتعلق به قدرة الله، ولا يمكن منطقيًا أن يمتحن الله عباده بالشر دون وجوده. ولتأكيد هذا المعنى يقول ابن القيم: «لأن المحال ليس بشيء، فلا تتعلق به قدرة، والله على كل شيء قدير، فلا يخرج ممكن عن قدرته البتة»[١].

وفي شرح العقيدة الطحاوية يقول ابن جبرين: «يعتقد المسلمون ما أخبر الله به عن نفسه من عموم قدرته أنه على كل شيء قدير، وكلمة (شيء) يدخل فيها ما هو موجود وما هو معلوم مما يقدره الله تعالى، وتدخل فيها أعمال العباد، فيدخل فيها عمل العبد مثل عباداته وطاعاته وحسناته، وكذا سيئاته وخطاياه كلها داخلة في عموم (كل) في قوله تعالى: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، فيدخل في ذلك كل الممكنات. أما غيرُ الممكن المستحيلُ فإنه لا يدخل في هذا العموم، مثل كون الشيء معدومًا موجودًا في آن واحد، فهذا من المستحيل أن يوجد ويعدم في آن واحد، أو يكون الشخص حيًا ميتًا في آن واحد، ومثل ما يورده بعض المتعنتين فيقولون: هل يقدر الله أن يخلق مثل نفسه؟ نقول: هذا محال، ولا ينبغي الخوض فيه، فهو من المحال؛ حيث إنه تعالى هو المنفرد الذي ليس له شريك وليس له شبيه ولا معين»[٢].

التصور الصحيح لمعنى الكمال الإلهي يكون بجمع الصفات وتضافرها لا الفصل بينها:

فمن الانحراف في فهم معاني ودلالات أسماء الله وصفاته أخذُ بعض الصفات وتركُ بعضها، لأن كل صفة لها آثار ومقتضيات تتعلق بصفة أو صفات

(١) شفاء العليل، لابن القيم ص (٣٧٤).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، للجبرين، دروس مفرغة (٦/١٢).

أخرى، فالتعامل مع بعضها دون الآخر يجعلها ناقصة المعنى. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما ورد في الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فلا يصحُّ النظر فقط إلى عقاب الله فيقنط الإنسان، ولا إلى رحمة الله فيتمادى.

وفي معنىً قريب من هذا مقولةٌ تُروى عن السلف بأنَّ الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين بالنسبة للطائر، فللاعتدال والمسير الصحيح يجبُ الموازنة بينهما وعدم الأخذ بواحدٍ وترك الآخر. ينطبق ذات الأمر على صفة الرحمة مثلًا وتكاملها مع الصفات الأخرى في ضوء مشكلة الشر، «وعندما يدرك المعترض أنَّ الله متَّصفٌ بالحكمة والجبروت والملكوت مع اتصافه بالرحمة، لعَلِمَ أنَّ فعلَ الشرِّ لا يتعارضُ مع الكمال أبدًا، فالنظر الواقعي والدقيق في مجموع صفات الله الكمالية يُثبت أنه لا تلازُم بين وجود الشر وبين عدم الرحمة، فالرحيم قد يفعل ما هو شر في ظاهره لما يترتب عليه من المصلحة في الآن أو الآجل، فصفة الرحمة الإلهية إذن مرتبطةٌ بشكل أساسي بصفة الحكمة وغيرها من الصفات»[١].

> **عالم بلا شر عالمٌ ميت بلا حركة عاطفة ولا حركة إرادة، عالمٌ بلا أمل، وبلا شوق، وبلا هدف، لأنه عالم بلا فشل ولا طموح**

وجود الشر ضروري لوجود الخير!

الشر ليس حقيقة ذاتية لها وجود استقلالي، بمعنى أن الشيء لا يكون شرًا بذاته، لكنه في حقيقته غيابٌ للخير، فهو أمر نسبي جزئي.

مثلًا، الظلم غيابٌ للعدل، والجوع غيابٌ للشبع، والموت غيابٌ للحياة، وهكذا. والسؤال الذي يجب أن يُطرح هنا، هل هناك معنىً حقيقي لشيء مع انعدام ضده؟ هل يكون للحياة معنى إذا كانت خالية من الألم والمنغصات؟ هل يمكن استشعار قيمة العدل مع انعدام الظلم؟ وهل يمكن استشعار لذة الشبع مع غياب الجوع؟ «إن (مدينة الملحد الفاضلة) هي عالم بلا فرح، لأنها بلا حزن، وهي عالم بلا نجاح، لأنها عالم بلا فشل، إذ يدرك الإنسان منذ بداية فعله أنه سائر إلى الفوز دون ريب، فيفقد ذلك لذة الفرح بانتصاره على فرصة الفشل، وهو عالم لا يستشعر فيه الإنسان معنى الصحة والعافية لأنه لا يعلم أن هناك مرضًا وأذى. هو ببساطة، عالمٌ ميت بلا حركة عاطفة ولا حركة إرادة، عالمٌ بلا أمل، وبلا شوق، وبلا هدف، لأنه عالم بلا فشل وبلا طموح، فكل ما يريده الإنسان يحصده في حينه.

ومن العجب أن مثل هذا العالم (بصورة مادية مصغرة) قد قاد أصحابه إلى الانتحار بعد أن شعروا أن حياتهم بلا أمل، سواء في عالم الأثرياء الذين جربوا كل المتع واللذات، حتى الشاذَّ منها، وكذلك كبار السن الذين يتقاعدون عن العمل، ويأتيهم رزقهم رغدًا، إذ يستشعرون أنَّ حياتهم بلا معنى؛ لأنها بلا كدّ وبلا خوف ولا شوق»[٢].

«إنَّ الألم إذن عنصر أصيل في حياةٍ سليمةٍ وقلبٍ معافى من البرود القاتل، فبه يجد الإنسان حوافزَ في داخله للاستمتاع بلحظات الوجود أو الإحساس بها ومغالبتها، ففي غيبة الإحساس باللحظة، أو الرغبة في تحقيق نصر على شرٍّ فيها، تهمد رغبتنا في البقاء وتتهاوى قدرتنا على الصمود. إن هذه الحياة الدنيا بلا ألم غير قابلة لأن تعاش؛ لأنها بلا دلالة تتجاوز الأنفاس الصاعدة الهابطة، وبعبارة (س.إس.لويس): «حاول أن تستبعد إمكانية الألم المتضمن في نظام الطبيعة ووجود الإرادات الحرة، وستجد أن قد استبعدت الحياة نفسها»[٣].

فإذا كان الله قد خلق الحياة للابتلاء والاختبار، وأن ذلك لا يكون إلا بتدافع الخير والشر، فإن الحكمة من وجود الشر اختبار النفوس لاستخراج الخير منها، وحثها على مدافعة الشر، بل إن الشارع الحكيم يريد رفع درجات المؤمنين وزيادة حسناتهم وتكفير سيئاتهم، فيبتليهم ثم يلهمهم الصبر فينالون ذلك. يقول النبي ﷺ: (إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغهَا بعملِه ابتلاهُ اللهُ في جسدِه أو في مالِه أو في ولدِه ثم صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى)[٤]. ويقول ﷺ: (ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في

(١) موقع المحاور، almohawer.com.
(٢) مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري ص (٢٠٨).
(٣) المرجع السابق ص (٢٠١).
(٤) أخرجه أبو داوود (٣٠٩٠).

أثر صحة المقدمات في تعظيم الخالق

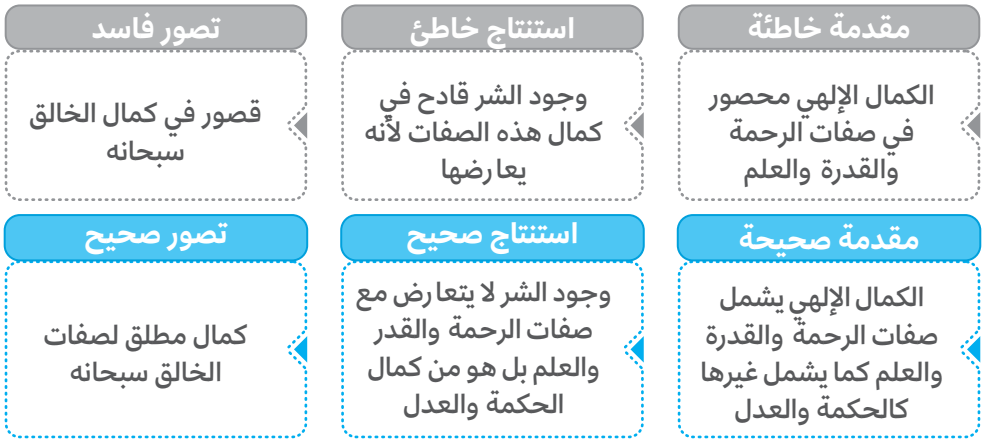

نفسِه وولده ومالِه حتَّى يلقَى اللهَ تعالَى وما عليه خطيئةٌ)[1]. وقد يصيب الإنسانَ ما يبدو في ظاهره شرًا، لكن يتبين بعد حين أنه دفع لشر أكبر، أو سبيل إلى مصلحة، كما تم ذكره سابقًا.

إنكار وجود الله لا ينهي مشكلة الشر، بل يعقّدها ويزيدها حيرةً:

يجهَدُ المشكِّك في البحث عن حلٍّ لمعضلة الشر، وإيجاد تفسير شافٍ لتفاصيلها الشائكة، فيُفكّر ويستدلُّ ويتأمل ويستنتج، ومع أنه يقع في تناقضاتٍ ويُقر بلوازم فاسدة ليصل إلى هذه النتيجة، فإنَّ الأمر ينتهي به إلى الوصول إلى نتيجةٍ تُفاقم مشكلةَ الشرِّ وتزيدها حيرةً وغموضًا، وتُنتج أسئلةً أخرى بالإضافة إلى الأسئلة الشكِّية الأولى. فيصلُ المشكك إلى أن وجود الشر في هذا العالم ينافي وجود الله، فما هي مآلات هذه الاستنتاج؟

إنَّ إنكار وجود الله هو إيذانٌ ببداية التخبُّط والضياع، فإنكار وجود الله يقتضي عدم وجود بعثٍ، فلا حسابَ ولا جزاء، ولا محكمة ربانية تُحاكم المجرمين محاكمة عادلة. تخيَّل أن المجرمين الذين قتلوا عشرات الملايين من الأبرياء عبر التاريخ، وشرّدوا مثلهم، وطغوا وتجبروا، واستعبدوا الناس، بحسب هذه النتيجة التشكيكية في وجود الله، سيُفلتون من العقاب والمحاكمة العادلة بمجرد مواراتهم في التراب، كغيرهم من المحسنين! فهل وجد الملحد حلَّ هذه المشكلة عندما ألحد وأنكر وجود الله؟!

أما المؤمن الموحّد، فلديه الجواب الشافي المنطقي لمشكلة الشر، يزيده إيمانًا، ويحثه على العمل والإحسان، ويردعه عن الظلم والإساءة.

«ثم ماذا عن العدل النهائي المطلق! لقد اغتيل أربعة من الأبرياء: أب وأم وطفلان، وليس بمستبعد أن يفلت القتلة من طائلة القصاص [في حادثة معينة]. وما قيمة الحياة ... وما قيمة الإنسان نفسه لو تُرك مصيره هكذا معلقًا على عدل أرضي لا يملك – في معظم الأحيان – الأداة المضمونة لتحققه ونفاذه؟!

إن الإسلام، ذلك الدين القيم يمنحنا الجواب في كلتا الحالتين.. ولو لم يكن «الدين» سوى هذا «الجواب» لكان في ذلك وحده الدافع الأكبر لالتزامه، ومعايشته، وتعشّقه، والتشبث به حتى آخر لحظة من حياتنا، التي يعلمنا «الإيمان» أنها لن تنقطع، ولن تزول، ولن يضيع «حقٌ» من حقوقها بالصدفة أو العبث أو الفوضى..

جربوا بأنفسكم ذلك.. اختبروا صِدقه .. ليس في بيوتكم ونواديكم .. ولكن في المقابر .. لحظة مواراة جثة صديق أو قريب.. التفتوا إليها بعد دقائق من مغادرتكم المكان .. وحيدة .. مهملة .. منقطعة في الصحراء .. **أمن الممكن أن تكون هذه هي نهاية الإنسان؟!**»[2].

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩).
(٢) آفاق قرآنية، د.عماد الدين خليل ص (٢٩٤-٢٩٥).

تزييف الوعي الدِّيني من خلال وسائل التواصل الاجتماعي

أ. محمد أمجد بن عبد الرزاق بيات (*)

نحن اليوم أمام تحدٍّ كبير يتمثّل في الكمّ الهائل من الأفكار والمفاهيم المتنوعة طرحًا ومصدرًا في وسائل التواصل الاجتماعي، التي تحوّلت بدورها -في شقّها السلبيّ- إلى أداة لتزييف الوعي العام، ووسيلة للعبث بالأمن الفكري والنفسي والاجتماعي للمجتمعات، وتصدر للأمر من ليس أهلا له، فأورث ثقافة ضحلة وفوضى فكرية وتحريفًا للدين، ونبشت الأقوال الشاذة والمهجورة، في الوقت الذي انكفأ فيه أهل العلم والاختصاص عن المشاركة. ولا بد من تضافر الإيمان والعقل والأخلاق للحدّ من هذه الظاهرة الخطيرة.

يعلم المصلحون أنّ تصحيح المفاهيم هو مفتاح التغيير في كل تجمُّع بشري يُراد إحياؤه والنهوض به، ذلك أنَّ المفاهيم والأفكار هي التي تشكِّل القاعدة الصَّلبة في بناء مجتمع واعٍ يُدرك ذاته ورسالته ويعرف أهدافه ويتحرَّك نحوها، ومن هنا يؤكِّد الإسلام على المحافظة على الأساس الفكري للأمة، ابتداءً بالعقيدة، وانتهاءً بالمفاهيم العامة عن الكون والحياة، ونجد المنهاج الإسلامي يركِّز على معالجة الانحراف الفكري والمفاهيمي، ولا يُفسح المجال لوجود ثغرات في الهيكل الفكريِّ والعلميِّ لدى أتباعه؛ لأن هذا الانحراف سيتحوَّل إلى قيد يكبِّل الأمة ويمنعها من الانطلاق برسالتها والدَّعوة وإليها[1].

وتأسيسًا على ما سبق وبالتمعُّن في واقعنا المعاصر نجد أننا في عصر الثورة الرقمية وتدفق المعلومات أمام تحدٍّ كبير وتهديد خطير، يتمثّل في الكم الهائل من المعلومات والأفكار والمفاهيم التي تلقي بها إلينا وسائل التواصل الاجتماعي التي أتاحت لكل أحدٍ منبرًا ليتكلَّم بما شاء، فبرز على الساحة عدد كبير ممن يتكلَّمون في الدِّين -متخصصين وغير متخصصين- فصِرنا أمام شبكة من الأفكار والمفاهيم اختلط فيها الصواب بالخطأ والحق بالباطل، وتشوَّشت معها العقول وتاهت، وأصاب بعضها الغبش واضطربت.

(*) ماجستير في الفقه، باحث شرعي ومدرس.

(١) مقال: تصحيح الأفكار والمفاهيم، د. محمد محمد بدري، في موقع الألوكة.

صحيح أنّ الانفتاح الذي تعرفه وسائل التواصل الاجتماعي يؤدي إلى تدفق المعلومات وسهولة الحصول عليها، إلا أنّ كثرة هذه المعلومات وتنوّعها وطريقة طرحها، وصدورها في كثير من الأحيان من أشخاص عابثين، ليتلقّاها جمهور عريض من المتابعين والمعجبين الذين لا يميّزون بين الغثّ والسمين؛ يجعل من هذه المعلومات مدخلًا للتلاعب بالوعي.

وهنا لا بدّ أن نعترف أنّ لوسائل التواصل الاجتماعي (Social Media) سلبيات لا يمكن تجاهلها؛ حيث تحوَّلت إلى أداة لتزييف الوعي العام، الذي راج فيه سوق كثير من الرؤوس الجهَّال الذين جاء وصفهم في الحديث الشَّريف: (..اتخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جهَّالًا، فسئِلوا، فأفتَوا بغيرِ علمٍ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا)»[1] كما أنها أصبحت من أقوى الأسلحة التي يستخدمها الأعداء في تقويض المجتمعات، والعبث بأمنها الفكري والنفسي والاجتماعي.

لذا كان تسليط الضوء على هذه الظاهرة، نصحًا للعامَّة من المسلمين، ومساهمةً في كشف أصناف المتلاعبين من أصحاب الشبهات والمنحرفين، والمتصدِّرين من المتعالمين، والجهَّال الذين يطلبون الشُّهرة والاستكثار من المتابعين[2]، صيانةً للعقول من العبث وحفظًا لجناب الدِّين من التحريف.

وسيكون الكلام في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

ما المقصود بتزييف الوعي؟ وما أبرز وسائله؟ وما هي أسبابه؟ وما أبرز آثاره؟ وما الحلول المقترحة للحدِّ من هذه الظاهرة؟

> **كل استنتاج أو تفسير لنصوص الوحي والأحكام الشرعية، أو اختراع قواعد جديدة في الفهم والاستنباط لا تراعي قواعد المنهج العلمي في البحث؛ داخل في معنى تزييف الوعي.**

معنى تزييف الوعي أو الوعي المزيَّف:

الزَّيفُ: التزوير، تقول: «درهمٌ زَيْفٌ» أي رديءٌ مغشوش، و«زيَّفَ النقود»: زوَّرها وقلَّد صُنعها، ويقال: «زيَّفَ رأيَ صاحبه» أي فنَّده وأظهر باطلَه[3].

والوعي: الفهمُ وسلامةُ الإدراك، ووعَى الأمرَ: أدركه على حقيقته. ورجلٌ وَعِيٌّ: أي عارفٌ، على بينةٍ بالأسباب[4].

فالوعيُ: الفهم الصحيح المطابق للواقع، والتصوُّر الصحيح للأشياء، من خلال إعمال قواعد الفهم والاستنباط وفق منهج علمي صحيح.

ولا بد في الوعي من أمرين:

- قواعد صحيحة، وهي مقدِّمات لا بدَّ منها.
- ثم إعمال هذه القواعد وفق المنهج الصحيح للوصول لنتائج سليمة.

فإذا كانت المقدِّمات غير صحيحة، أو حصل خطأ في فهمها وتفسيرها أو طريقة إعمالها؛ كانت النتيجة وعيًا مزيَّفًا وجهلًا مركَّبًا.

وقد أثنى الشرع على سلامة الوعي، فقال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [الذاريات: ٣٧]، وقال ﷺ: (نضَّر الله امرءًا سمِع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه)[5].

وعليه: فكل استنتاج أو تفسير لنصوص الوحي والأحكام الشرعيَّة، أو اختراع قواعد جديدة في الفهم والاستنباط لا تراعي قواعد المنهج العلمي في البحث، فهو داخلٌ في معنى تزييف الوعي.

وسائل تزييف الوعي:

وهي كثيرة، منها:

* **الخطاب الذي يستند على العاطفة في التأثير والشبهات في الاستدلال:** يذكر عن الفيلسوف أرسطو قوله: «لكي يكون الإقناع

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) وثمة صنف جدير بأن يفردوا بمقال، وهم ما يمكن أن نصطلح على وصفهم بـ صُنَّاع التفاهة! فليس لدى هؤلاء ما يقدّمونه سواها.. تعدَّدت أساليبهم وتنوعَّت ولكنها اجتمعت على أن مادَّة برامجهم وخلاصة أفكارهم إحداث نوع من التسلية السَّمجة والهبوط والتدنّي لحد الإسفاف وصناعة عالم من التفاهة التي تهبط بالاهتمام وتستخف بالعقل الإنساني وتصنع صورة مزيَّفة وقناعات سطحيَّة.

(٣) المصباح المنير، للفيومي ص (٢٦١)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٠١٦/٢).

(٤) معجم الصواب اللغوي (٧٩٦/١)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (١٠١٦/٢) كلاهما للدكتور أحمد مختار وآخرون.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨).

مؤثرًا يجب توافر ثلاثة عناصر فيه: الثقة، المنطق، العاطفة». وبحسب علم نفس الجماهير فإن عليك حتى تؤثّر في الناس أن تثير عواطفهم أولًا، ثمّ تخاطب عقولهم، فبهذه الطريقة تضمن تأثير أفكارك فيهم وقبولها لديهم.

الناس أمام سيل المعلومات على صنفين: صنف يملك مهارات النقد والتقويم، لكنه لا يملك الوقت لتمحيص كلّ ما يرد، وصنف لا يملك مهارات النقد، فيخيّل إليه أن كلّ ما يسمعه حقّ، فيقع ضحيّة تزييف الوعي، وقد يصبح أداة لترويج الباطل.

❋ **أسلوب التكرار:** أو ما يعرف بـ«التأثير الكمِّي»، يقول لينين: «تصبح الكذبة حقيقة إذا كررت بما يكفي»، فتقديم رسائل إعلامية متشابهة ومتكررة حول قضيةٍ ما أو شخصيةٍ ما؛ يؤدِّي إلى التأثير على المتلقّي ولو على المدى البعيد، مهما كانت قوة حصانة المتلقي، بسبب حدوث تسييرٍ لا إرادي لدى المتلقي.

والواقع اليوم: أنّ المرءَ ما إن يفتح هاتفَه أو حاسوبَه حتى تنهالَ عليه المعلومات من كل صوب ومن كل فنٍ ولونٍ، من خلال سيل من المعلومات التي تعتمد مبدأ التعزيز بالتدفق المستمر، والناس أمامها في الغالب على صنفين:

- صنف يملكُ مهاراتِ النّقد والتقويم، ولكن لا يملك الوقتَ لفحصِ وتمحيصِ كلّ ما يرِد إليه لكثرتها وتنوُّعها.
- وصنف: لا يملك مهارات النقد، فيُخيَّل إليه أنَّ ما يسمعه أو يقرؤه حقٌّ يستند إلى المنطق والدَّليل، فيتشرَّبُ عقله ما فيها من أغاليط وسموم، وقد يجتهد بنشرها ونقلها محتسبًا الأجر وملتمسًا الخير، ولا يدري المسكين أنه تحوَّل لأداة مجانيَّة لترويج الباطل وتزييف الوعي.

❋ **التضليل بالإغراق بالمعلومات:** فكثرة المعلومات التي تعتمد السَّرد المتواصل تشوّش الذّهن ويُنسي بعضها بعضًا، فبعض المتحدّثين يركز على إظهار نفسه بمظهر الباحث الجامع لشتات المسألة، فيعتمد أسلوب سرد الأقوال والأدلة وحشدها في ذهن المستمع بطريقة تدهش المستمع والمشاهد ولكنه لا يخرج منها بفائدة، وقد يدسُّ في أثناء ذلك بعضَ ما يريد أن يَعلق في ذهن المستمع ليزدادَ حيرةً أو يظنّها حقًّا ليصل إلى ما يُريد، فيظن المتابع أنه خرج بمعلومات يظنها علمًا، أو يصل لنتيجة يعتقدها حقًّا وليس كذلك!

❋ **التكتُّم الكلِّي أو الجزئي على المعلومة المفيدة:** حيث يُوهم المتابعين بدراسة المسألة من مصادرها المختلفة ويسرد المعلومات أمام جمهور المتابعين ويقتبس ويوثِّق، ولكنه يتعمَّد كِتمان بعض المعلومات المهمَّة بالكلية، باقتطاعها من سياقها، فيبرز ما يريد ويكتم المفيد، وهذا من الخيانة والغش، ويقع كثيرًا عند من رقَّ دينه من المتعصِّبة وأصحاب الأهواء.

❋ **الإيحاء بالكثرة:** وهذا مسلك قديم يوحي من خلاله أن الأكثر على كذا أو خلاف كذا، فيقع المستمع ضحيَّة هذا التزييف. وقد تفطّنت الدول لهذا فأحدثوا ما عُرف مؤخرًا بـ «الذباب الإلكتروني»، حيث يتم تجنيد المئات وإدارتهم وتوجيههم للكتابة والتعليق والتغريد والرَّد بهجمات منسَّقة، تخيّل للمتابع أنه أمام جمهور كبير لا يجمعُه رابط، فيقع تحت تأثير هذه الكثرة المزيَّفة، فيتبنى رأيًا أو يميل لطرف، أو يتشوَّش ويتوقَّف على الأقل[1].

❋ **كلام الشخص في غير تخصُّصه**[2]: نجد عند بعضهم من الجرأة على الكلام في غير فنِّه وتخصُّصه وقد يجانبه الصَّواب فيُخطئ في جزئية أو يعترض فيُخالف متفقًا عليه عند أهل ذاك الفن، فيكون كلامه فتنةً لمحبيه وجمهور متابعيه، وهو يخبرهم أنه بحَثَ المسألة منهجيًّا ونقد وردَّ ردًّا علميًّا، وثَمَّ جمهور لا يحسن التمييز يقبل كلامه

(١) تحاول الدول خلق رأي عام في قضيَّة وتوجيهه أو تغييرِه، بما يخدم أهدافها ومخططاتِها، ويدافع عن مشاريعها وسياساتها، أو تشويه ومحاربة خصومها، ومن ذلك أن الدول الغنيَّة تنشئ وتموِّل قنوات فضائية، مستقلَّة في الظاهر تنطق باسمها وتروِّج لها، ومن ذلك أن بعض الدول يدعم بعض أصحاب الحسابات والقنوات المشهورة فتقدَّم لهم العروض المغرية مقابل دعمهم سياسات ومشاريع تلك الدول ويهاجموا خصومها. وهذا كله داخلٌ في أزمة تزييف الوعي وصناعة الكذب. والأمر في هذا لا يقتصر على الدول بل دخلته كثير من المنظمات والجماعات والأحزاب.

(٢) وهذا لا يعني بالضرورة أن كلام المتخصص في غير تخصصه من تزييف الوعي، فقد يوافق أهل التخصص فيكون كلامه حقًّا، لكن خطورة تزييفه يكمن في ترويج باطل يكسوه ثوب الحق، أو إبطال حقٍّ بحجة البحث والنقد.

مقومات الوعي وأثرها على سلامته

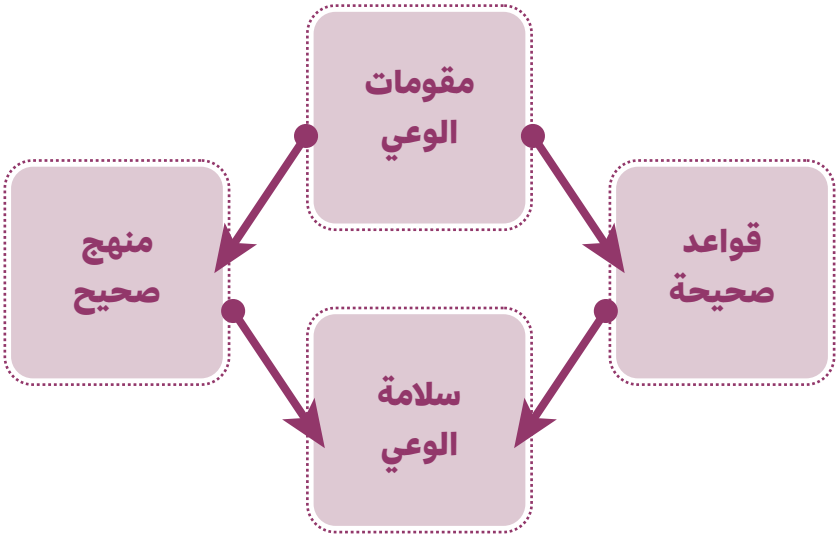

ثقةً به وإعجابًا بحسن سرده وإلقائه. وهذا بابٌ عظمت الجناية به.

من أبرز آثار تزييف الوعي تكوين ثقافة ضحلة، يتربّع عليها صُنّاع التفاهة الذين تحوّلوا إلى قدوات في نظر الشباب، وأخذوا مكان أهل العلم والناصحين من المصلحين.

أبرز آثار تزييف الوعي:

لا يخفى أن لهذه الظاهرة جملة آثار خطيرة على الدِّين والدَّعوة والفرد والمجتمع.

فمن أهمّ هذه الآثار على الصَّعيد المجتمعي:

- تعزيز الفُرقة والاختلاف والتحزُّب والانقسام بحيث يبقى المجتمع في حالة صدامٍ مستمر (مع وضدّ) حول كثير من القضايا التي لا تنتهي.
- تكوين ثقافة ضحلة، واهتمامات فارغة، تزهِّد في الدِّين وأهله، يتربَّع عليها صنَّاع التفاهة الذين تحوَّلوا إلى قدوات في نظر الشباب، وأخذوا مكان أهل العلم والناصحين من المصلحين.

ومن أهمّ آثار تزييف الوعي على الصَّعيد الدِّيني:

- صناعة تديُّن مزيَّف يستند لفهم مشوَّه وتفسير مُستحدَث للشريعة.
- العزوف عن سلوك الجادة الصحيحة بأخذ العلم عن أهله.
- الفوضى الفكرية بالتطاول على الأحكام، والجرأة على تفسيرها، مما يغري البقيَّة أن يتناولوا الدِّين ويتكلَّموا فيه بلا علم ويتفاصحوا بغير آلة، بعيدًا عن القواعد المعتبرة والمنهجية في البحث والرجوع لأهل التخصُّص.
- مزاحمة أصحاب الشبهات والمنحرفين والمتعالمين لأهل العلم، وتقديمهم عليهم، والتنفير عنهم.
- تحريف الدِّين من خلال:

أ. هدم قواعد الاستدلال والتلقِّي ومنهج الفهم والتفسير.

ب. تأسيس قوانين جديدة وقواعد لتأويل النصوص وتفسيرها.

صرف الجهود التي ينبغي أن تصبّ في تصحيح الوعي، إلى القدح والإسقاط بسبب مسائل يسوغ فيها الخلاف؛ من أهم أسباب تفاقم هذه الظاهرة، حيث يصبح أهل الحق المصحّحين للوعي موضع تهمة، فينصرف الناس عنهم إلى أهل الباطل ومروّجيه.

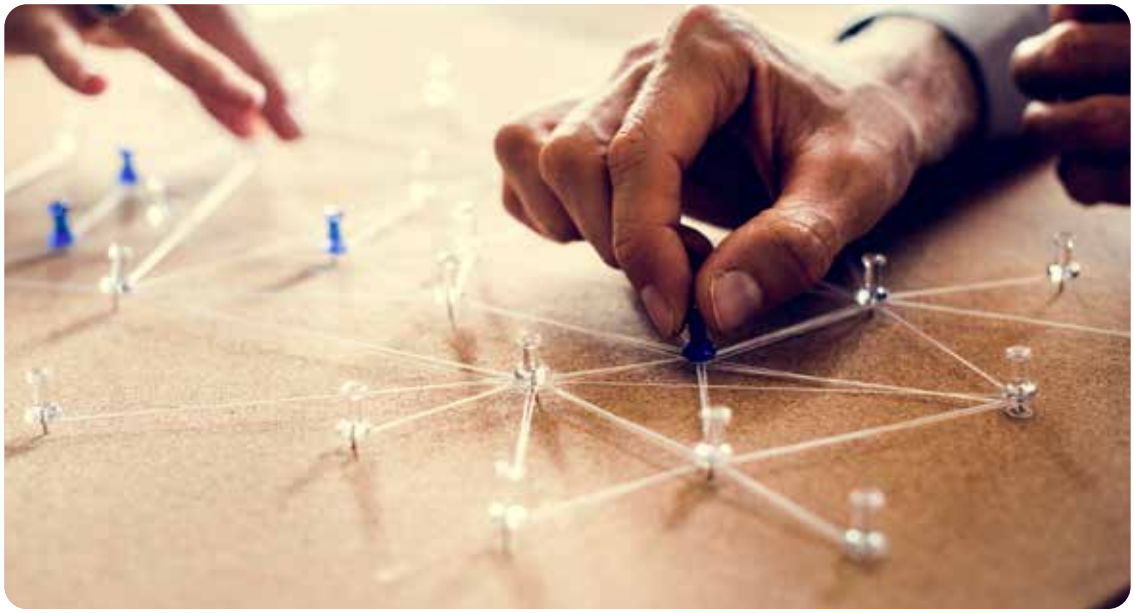

من أسباب هذه الظاهرة:

لهذه الظاهرة أسباب عديدة أجملها في خمسة أسباب، أذكرها مراعيًا التركيز على الجانب الديني والشرعي، لما له من آثار وتبعات خطيرة.

١. التصدُّر قبل التأهل:

ظهر شباب متحمِّس لا يملك أكثر من حماسة صادقة، يسعى لنشر الإسلام والدَّعوة إلى الله، ولكنهم استعجلوا النتيجة واقتحموا الأمر من غير بابه، فتسلَّقوا جدران العلم، واقتحموا أبواب الفتوى، وتولَّوا إدارة دفَّة توجيه العقول، متوهِّمين أنهم بذلك يبثُّون الوعي ويُحيون المنهج وينهضون بالأمة والمجتمع، لكنهم أثاروا البلبلة ووسَّعوا الشُّقَّة، وأوقعوا متابعيهم في الوعي الزائف والجهل المركّب، وربما أوقعوهم في الإثم والحرام، أو في الضلال والانحراف، بفتاوى خليّة عن العلم أو جرأة بعيدة عن التقوى.

ثم غرَّ بعضَهم زيادةُ المتابعين والمعجبين على الغرور والإعجاب بالنفس، فتنقص بعضهم من أهل العلم وتطاول بعضهم على أهل الاختصاص، ورغم سقوط بعض هؤلاء واكتشاف مبلغ علمهم، إلا أنَّ وَهمَ المجد الزائف والشهرة الطارئة لا يزال يداعب مخيلتهم ويدعوهم للإصرار والاستمرار في هذا العبث.

٢. انشغال فريق بتتبُّع العلماء ونشر زلاتهم وطمس محاسنهم:

وهو منهج رديءٌ مرذول يقوم على التنقيب عن العثرات، وإلصاق التهم، والتشكيك بسلامة المنهج بناءً على ظنون واهية، أو نقول كاذبة، وتحزُّبًا لجماعة ومدرسة أو موالاةً عميَّة نصرةً لعصبيَّة فكريَّة أو منهجيَّة.

فإذا الجهود التي كان ينبغي أن تُصبَّ في تصحيح الوعي ورفع الجهل، قد ذهبت في القدح والتحذير بسبب مسائل يسوغ فيها الخلاف، أو مسائل لا تستلزم الإسقاط وإن استلزمت البيان.

وإذا أهل الحق المدافعين عن الدين في ثغوره العظيمة، المصححين للوعي أمام حملات التزييف المنهجة، قد صاروا موضع تُهمة لدى عامة الناس، وصار قبول الباطل من مروّجيه أسهل من قبول الحق منهم.

٣. وجود الكثير من المناوئين لأهل الحق والحاقدين:

فقد وجد المناوئون للحق في مثل هذه المنصَّات متنفسًا ينفثون من خلاله سموم حقدهم وحنقهم على أهل السنة ومنهجهم، وإن تلبَّس بعضهم بالعلم والدعوة، فافتتحوا صفحات خاصة وعامَّة وأنشأوا مجموعات وملتقيات لأغراضهم الفاسدة، وكان لها إسهامها في تزييف الوعي وتحريف النصوص وتزيين الباطل.

لجأ البعض -تحت دافع حبّ الظّهور والرغبة في التّصدّر- إلى نبش الأقوال الضعيفة الشّاذّة، ثم دافعوا عنها على أنها القول الراجح الذي لا يجوز العدول عنه، فتبلبل الناس واضطرب وعيهم.

٤. نبش الأقوال المهجورة والمذاهب الشاذَّة:

تحت دعوى البحث العلمي وعدم التعصُّب والبحث عن الحق، سلك بعض الدخلاء على العلم هذا المسلك المنحرف، فتجد صاحبه ينبش ويُنقب عن الأقوال المهجورة الضعيفة أو الشاذّة، ثم يبثُّها ويدافع عنها على أنها القول الراجح الذي لا يجوز العدولُ عنه؛ فيتبلبل الناس ويضطرب الوعي.

وإذا كان القول موافقًا لأهواء بعض الناس، تجدهم يفرحون به، ويذمّون أهل العلم الذين لم يُطلعوهم على هذه الأسرار العظيمة والأقوال الحكيمة! رغم أنهم لو تفكّروا أو كان لهم اطّلاع وبحث، لوجدوا من الأقوال المندثرة الصعبة التي تعكّر عليهم أهواءهم أضعاف ما فرحوا به، ولكنّ اندثار الأقوال وانتشارها بين أهل العلم إنما يخضع لمعايير العلم لا الهوى.

وليس بعيدًا أن يقال إن هذا السلوك من دسائس النفس في حب الظهور والشهرة على قاعدة (خالِفْ تُعرَف!)، وهو كذلك من آفات التصدر قبل التأهل، أو يكون بناءً على معايير خاطئة وتأصيلات فاسدة ينطلقون منها في فهم الشَّريعة وأحكامها ويُطوِّعون معاني نصوصها بما يتوافق مع انحراف قواعدهم وأصولهم.

صاحب الاختصاص الواعي هو حصن الأمة في وجه التزييف والغزو الفكري، وبتراجعه عن المشاركة في تنمية الوعي يترك ثغراً يدخل من خلاله المزيِّفون الهدّامون.

٥. انكفاء المثقفين وأهل الاختصاص وتراجع مشاركتهم:

المثقف الواعي والعالِم العامِل هو صوت الأمم ولسان حال شُعوبها والعين التي يرى من خلالها المجتمع، ولهذا فإن الشخص الواعي بمثابة صمام الأمان لمجتمعه، فهو يُبصر ويُحلِّل ويوضح الحقائق وينبه إلى المخاطر، فتتحصَّن الأمة والمجتمع بالوعي ويبقى آمنًا من أي نوع من أنواع التزييف أو الغزو الفكري والثقافي.

أما إذا تراجعت مُشاركته أو أهمل العمل باختصاصه وانكفأ على نفسه لأسباب شخصية أو مجتمعية، فإنه بذلك يتركُ ثغرةً عظيمة يدخل من خلالها هؤلاء المزيِّفون الهدَّامون كخلايا السرطان تنخر وعي المجتمع.

الحلول المقترحة مع عموم هذا البلاء:

عادةً ما يكون الخطر من عدم القناعة بالخطر نفسه، ومن هنا تصعب المهمَّة التي تستدعي كشف هذا الخطر وبيانه، وهذا يستدعي تقديم حلول مناسبة لدفعه أو الحد من خطره.

والحل في رأيي له عدة أركان: عقلي، أخلاقي، تطبيقي، إيماني.

❋ **الركن العقلي:** العاقل هو مَن ينتفع بهبة الله له التي كرَّمه بها، فالعقل منفعته التفكير والتحليل والتركيب والاستدلال والاستنباط، والتأمل، والتدبر، والقياس، وحل المشكلات، ومن اللطائف في القرآن الكريم أنّ كلمة (العقل) لم ترِدْ بصيغة الاسم مطلَقًا، بل جاءت (٤٩ مرةً) بصيغة الفعل (تعقلون، عقلوه، يعقلها) فالله سبحانه يريد منَّا إعمال هذه الآلة التي وهبها لنا وميَّزنا بها.

ففي الأخبار والمعلومات يكون إعمال العقل بالتثبُّت من طريق وُرودها ومن ثقة ناقلها وعدالته، ومن علم القائل ومصداقيته، ومن موافقته لغيره من أهل الاختصاص وشهادتهم له بأنه منهم، فالعاقل لا يستسلم لفكرة مهما بدا ظاهرها جميلًا إلا أن يناقشها ويعرضها على أهل الاختصاص إن لم يكن منهم، ويتأكد من أمانة وثقة وعلم المتكلِّم بها مهما حاول عرضها بطريقة جاذبة واستخدم المشاعر والعواطف لترويجها. وبهذا نكون قد أعملنا عقلنا واستعملناه وفق ما أراده الله.

❋ **الركن الأخلاقي:** والمقصود به استشعار المرء المسؤوليَّة الأخلاقيَّة عمَّا يقولُ أو يفعلُ أو يكتبُ أو يرسلُ أو يعجَبُ به أو يغضبُ منه، وأنه مسؤولٌ عن مجتمعه لينشر فيه الخير ويمنع عنه الشرّ، فيزرع ما ينفع، ويقلع ما يضر ويؤذي. وليتذكر المسلم

النصوصَ القرآنية والنبوية في إثم من يدعو لباطل أو يروج له وينشره بلا تثبت وبغير علم.

- يقول تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥-٢٠].
- ويقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وفي قراءة أخرى ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ بدل ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾.
  - **والتثبُّت:** هو بذل الوسع والجهد لمعرفة حقيقة الحال؛ فهو مُنصَبٌّ على مصدر الخبر وسنده.
  - **والتبيُّن:** هو التأكد من حقيقة الخبر وظروفه وملابساته؛ فهو مُنصَبٌّ على الأحوال المحيطة بالخبر، ولا بد منهما معًا.

> **العاقل لا يستسلم لفكرة حتى يناقشها ويعرضها على أهل الاختصاص، ويتأكد من أمانة وثقة وعلم المتكلّم بها، مهما حاول عرضها بطريقة جاذبة، واستخدم المشاعر والعواطف لترويجها.**

❋ **الركن التطبيقي:** ينبغي الاهتمام في باب تلقِّي الأخبار والأفكار بتطبيق مبدأ التثبت والاعتماد على ضبط النقلة، وصحةِ فهمهم، والاعتماد على القرائن في قبول الأخبار وردِّها. يقول محمد بن سيرين رحمه الله: «إن هذا العِلمَ دينٌ؛ فانظروا عمن تأخذونه»[(١)].

وتطبيق المنهج الإسلامي في تلقِّي الأخبار والأفكار يعصم بإذن الله من الوقوع في الخطأ وتحمُّل إثم نشره، فهذا المنهج يقوم على:

١. طلب الدليل والبرهان، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٢. التأنِّي وتقصِّي الحقيقة وعدم العجلة قبل التحدُّث والنشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ [النور: ١٦].

وقد سلك النجاشي رحمه الله هذا المنهج مع أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة، فسأل جعفر بن أبي طالب ﷺ عن أمرهم، وقولهم في عيسى ابن مريم وأمِّه عليهما السلام قبل أن يصدق قول قريش فيهم، وهذا شأن العقلاء وأولي النُّهى.

٣. ردُّ الأمر إلى أولي الأمر من أهل العلم والاختصاص لبيان وجه الحق والصَّواب من عدمه، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

❋ **الركن الإيماني:** وهو ألا يفتُر المرء عن دعاء الله بالهداية والسداد والعصمة من الزلل، وألا يكون شريكًا في الباطل ونشره ولا ظهيرًا للفساد وأهله، فإننا في زمان كثُرت فيه الشبهات والشهوات، ومعها تزداد ضرورتنا لهداية الله لنا والتماس أسبابها، فلا بد أن نستشعر حاجتنا لها وضرورة هداية الله لنا.

ومما يُذكر في هذا الشأن:

- قوله تعالى في الحديث القدسي «يا عبادي! كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه. فاستهدوني أَهْدِكم»[(٢)].
- ودعاؤه ﷺ إذ يقول: «اللهمَّ إني أسألُك الهدى والتقى، والعفافَ والغنى»[(٣)] رواه مسلم.
- وكان ﷺ إذا قام من الليلِ افتتح صلاتَه بدعاء وفيه: «اهدِني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِك إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ»[(٤)].
- والدعاء العظيم الذي نكرره كل يوم في فاتحة الكتاب في صلواتنا إذ نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].
- الدعاء الذي علمه ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ إذ قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «قل: اللهمَّ اهدِني وسدِّدْني. واذكر بالهُدى هدايتَك الطريقَ، والسَّدادِ سدادَ السَّهمِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢١).
(٤) أخرجه مسلم (٧٧٠).
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٢٥)، ومعناه: وفقني في اختياري، واجعلني مستقيمًا في جميع أموري، واهدني هدايةً لا أميلُ بها إلى إفراط أو تفريط.

آثار تزييف الوعي على الصعيد الديني

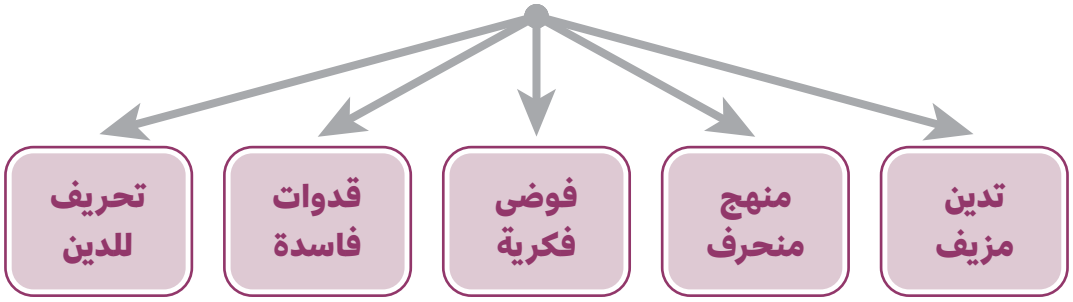

> **المعلومة سلاح ذو حدّين، فأحكِمْ تنقيتَها قبل أن تقتنع بها، ولا تنخدع بحسن الإخراج وسلاسة العرض، فذلك ليس معياراً للصواب.**

خاتمة:

نبه عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز «Wright Mills» إلى خطر ثورة التكنولوجيا مبكرًا، حين أكد أن الناس لا يحتاجون إلى المعلومات في عصر الحقيقة، الذي تسيطر فيه المعلومات على انتباه الناس وتركيزهم. لكنهم يحتاجون إلى نوعية من المنطق والتفكير والأدوات التي تساعدهم في استثمار المعلومات، وحسن توظيفها وتطوير تفسيرها، كي يتمكنوا من فهم واستيعاب ما يدور في العالم الخارجي.

وهذا أهم ما ننصح به كل حريص على حماية أمنه الفكري، فلا بد أن نعلم أن الانفتاح الزائد على وسائل التواصل أمر غير محمود، فالواجب اختيار الوقت وضبطه وانتقاء النافع واختيار المفيد فيما نتابعه، وأن نطوِّر مهارات النقد لدينا، حيث فقد كثيرون القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والإشاعة من الحقيقة، وتحوَّلوا بلا وعي إلى مجرَّد مدمنين للقصِّ واللصق، وتحوَّلوا إلى أدوات طيِّعة وجسرًا لعبور المشاريع المشبوهة والأفكار المنحرفة، فالنَّصيحة للجميع: لا تصدِّق كل شيء، ولا تثق بكل أحد، فالمعلومة سلاح خطير ذو حدَّين، فأحكم تنقيتها قبل أن تُدخلها رأسك وتقتنع بها، وارجع إلى أهل العلم المشهود لهم بحسن السيرة والعقل والحكمة، ولا تورِّط نفسك بمتابعة من لم تتحقَّق من أهليَّته بشهادة غيره من أهل التخصص فيما يتكلَّم فيه، ولا تنخدع بحُسن الإخراج والمظهر وسلاسة العرض والأسلوب، فهذا ليس علمًا ولا معيارًا على الصواب فتنبَّه!

إن قيام الأمم ونهوضها مرهونٌ بمدى صلاح أبنائها ونبوغ أجيالها، وذلك لا يتحقق إلا بالاهتمام بالمصادر التي يستقون منها معارفهم، وطرق تفكيرهم.

فيا أيها الشباب[1]، تحرَّوا الصدقَ فيما تكتبون، واجتهدوا في التفتيش عن حال من تتابعون وتأخذون عنهم وتنقلون، ولا يحمِلنَّكم الولاء لفكرة أو الإعجاب بشخص أو جماعة أن ترجُموا بالحجارة مَن يخالفكم، وتواضعوا في أنفسكم ولا تتعاظموا، وليكن العدلُ منهجَكم والإنصافُ رائدَكم، وكونوا عونًا لأمَّتكم روَّاد نهضتها وعنوان تقدمُّها، وتذكروا الموت والوقوف بين يدي الله والعرض، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

(١) ثمة فريق من الشباب يتحدث في أمور ثقافية وقضايا مجتمعيَّة وثقافيَّة لا يمتلك الخبرة اللازمة للحديث عنها، ويقدِّم وجهة نظره فيها، إلا أنه بطرحه لها والكلام فيها يُفسد ولا يُصلح، ولا يشفع له كثرة متابعيه فيدفعه ذلك لاقتحام أبواب لا يحسنها وقضايا لا يدرك غورها، فيُساهم من حيث لا يشعر بتزييف الوعي وإثارة البلبلة في المجتمع.

تأصيل

معالم في رواية الحديث الضعيف والاستشهاد به

أ. محمود الزويد (*)

عُني أهل العلم بتمييز صحيح الحديث من سقيمه، وعدّوا ذلك من القربات؛ نظرًا لخطورة تناقل الأحاديث دون التثبت من صحتها دينيًا ودنيويًا، وبينوا أن في الصحيح ما يغني عن الضعيف، أما من جوّز رواية الضعيف – لحاجة – فقد قيّد ذلك بشروط صارمة منعاً لظهور البدع، وفي المقال التالي تفصيل ذلك

توطئة:

تزدحم وسائل التواصل الاجتماعي بذكر أحاديث نبوية بعضها صحيح، وبعضها الآخر ضعيف، على الرغم من حسن قصد ناشريها في إرادة الخير، والاحتساب بالأجر في نشرها، لكن قد يكون الحديث المنشور من الضعيف الواهن غير المقبول، مما يؤكد ضرورة التحقق من صحة الأحاديث قبل نشرها حتى يتجنب الناشر لها الكذب على النبي ﷺ؛ ولازم ذلك مراعاة الشروط التي ذكرها العلماء لرواية الأحاديث عمومًا، ولرواية الحديث الضعيف في حال الحاجة لذلك، وفي المقال إلقاء للضوء على هذه المسألة.

الترغيب في رواية الحديث:

أعظم الشرع من رواية الحديث النبوي، وأجزل الأجر لفاعله، لما في ذلك من إيصال لرسالة الإسلام، ونشر للعلم النافع، ورفع للجهل، فحثَّ النبي ﷺ على رواية الحديث النبوي وتعليمه بقوله: (بلغوا عني ولو آية)[1]، وهذا الحديث كما قال أهل العلم: جمع بين التكليف والتشريف والتخفيف. فقوله: «بلغوا» تكليف، و «عنّي» تشريف. «ولو آية» تخفيف.

ونظراً لخطورة الكذب على رسول الله ﷺ، فقد عني المحدثون منذ القدم بطرق السماع، وبمعرفة أحوال الرواة وهو ما يعرف بالإسناد.

(*) طالب علم، وباحث شرعي، ومدرس في بعض المعاهد الشرعية.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

> **الإسناد رتبةٌ عالية، ومنقبة سامية عند أهل العلم عامة، وأهل الحديث خاصة؛ فبه يعرف الصحيح من السَّقيم، والثابت المسند من المدسوس المدلَّس به، كما أنَّه من خصائص هذه الأمة**

أهمية الإسناد:

الإسناد رتبةٌ عالية، ومنقبة سامية عند أهل العلم عامة، وأهل الحديث خاصة؛ فبه يعرف الصحيح من السَّقيم، والثابت المسند من المدسوس المدلَّس به، كما أنَّه من خصائص هذه الأمة، قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خصّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأمَّا مع الإرسال[١] والإعضال[٢] فيوجد في كثير من اليهود، لكن لا يقربون من موسى قربنا من محمد ﷺ ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرًا، وإنَّما يبلغون إلى شمعون ونحوه»[٣].

فبالإسناد حُفظ الدين من التغيير والتحريف وإدخال ما ليس منه، فكان مِنْ أهم أدوات أهل العلم للتمييز بين الحديث المقبول وغير المقبول، فعن مطر الوراق في قوله عز وجل: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤] قال: «إسناد الحديث»[٤].

لذا حثَّ أهل العلم مَن يُحدّث الناس أن يذكر سند الحديث؛ وذلك عندما ظهرت الفتن، وكثُر الكذب، قال ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلمَّا وقعت الفتنة قالوا سمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٥].

وشبهوا من يُحدّث بلا إسنادٍ بحاطبِ ليل يجمع الغث والثمين، قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: «مَثَلُ الذي يطلب العلم بلا حجة (إسناد) مثل حاطبِ ليل يجمع حزمةَ حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري»[٦].

أهمية تحري صحة الإسناد في رواية الحديث ونشره:

من القربات التي ينبغي لكلّ مسلم أن يحرص عليها أن يروي ما يصح عن النبي ﷺ ناويًا بذلك الأجر.

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نضّر الله امْرَأً سمع منا حديثًا فحفظه حتى يُبلّغه، فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه)[٧].

قال الرامهرمزي معلقًا على الحديث: «ويحتمل معناه وجهين، أحدهما: يكون في معنى ألبسه الله النَّضرة، وهي الحُسن وخلوص اللون، والوجه الثاني: أنْ يكون في معنى أوصله الله إلى نضرةِ الجنَّة»[٨].

وقال الإمام سفيان الثوري: «لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله ﷺ فإنه يصلي عليه ما دام في الكتاب»[٩].

> **«مَثَلُ الذي يطلب العلم بلا حُجّة (إسناد) مثل حاطبِ ليل يجمع حزمةَ حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري»**
>
> الإمام الشافعي رحمه الله

وشروط الحديث الصحيح خمسة:

١. اتصال السند بين الرواة من مبتدئه إلى منتهاه.
٢. عدالة الرواة.
٣. ضبط الرواة، سواء كان ضبط صدرٍ أو ضبطَ كتاب.
٤. انتفاء الشذوذ.
٥. انتفاء العلة القادحة.

أما الحديث الحسن: فهو ما جمع هذه الشروط الخمسة، لكن مع خفة ضبط الراوي لا مع كمال الضبط.

---

(١) يقصد بالإرسال هنا: الانقطاع، وهو سقوط راوٍ من سلسلة السند.
(٢) يقصد بالإعضال: سقوط أكثر من راوٍ من سلسلة السند على التوالي، سواء كان السقط في أول السند أو وسطه أو آخره.
(٣) تدريب الراوي، للسيوطي (١٤٣/٢).
(٤) المحدث الفاصل، للرامَهُرمزي، ص (١٩٢).
(٥) مقدمة صحيح مسلم (١١٩/١).
(٦) المدخل إلى الإكليل، للحاكم، ص (٥٥).
(٧) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦).
(٨) المحدث الفاصل، ص (١٣٧).
(٩) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، ص (٦١).

تعريف الحديث الضعيف:

فإنْ اختل شرط واحدٌ من هذه الشروطِ للصحيح أو الحسن كان الحديثُ ضعيفًا، ويمكن تعريفه بأنه: الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن. وهذا التعريف قال به: ابن الصلاح، وتابعه النووي، وابن كثير ومنْ جاء بعدهم[١].

خطورة تناقل الأحاديث دون التثبت من صحتها:

من أخطر الظواهر التي ابتليت بها المجتمعات، وعجَّت بها مواقع التواصل: تناقل الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ دون التثبت من صحتها، ممَّا يؤدي لنشر الكثير من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة؛ لا سيَّما وأنَّ بعضها ينشر في مواسم محددة دينية كانت أو دنيوية.

وفي نشر مثل هذه الأحاديث غير الثابتة أضرار كثيرة من أهمها:

١. ترك الحديث الصحيح والانشغال عنه، والجهل به.

٢. تشكيك الناس بما جاء به النبي ﷺ عندما يرون من يشير إلى ضعف هذه الأحاديث، أو مخالفة هذه الأحاديث الضعيفة للثابت من أحكام الشريعة، أو العقل والعلم.

٣. خفوت السنَّة وعلو البدعة وظهورها.

لذا يجب على كل مسلم محب للنبي ﷺ ألا يروي إلا ما هو صحيح أو مقبول روايته عند أهل العلم، وعليه التحقق والتأكد قبل النشر، وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب السنة كصحيح البخاري ومسلم. أو بالرجوع لأهل العلم الثقات العارفين بهذا الشأن، أو بالرجوع لبعض المواقع الموثوقة في هذا الباب[٢]، ومن سأل لن يُعدم مجيبًا.

الكذب على النبي ﷺ جريمة عظيمة:

من علامات نبوة نبينا محمد ﷺ حدوثُ ما أخبرَ بوقوعه، ومن ذلك: ظهور الكذابين عليه؛ لذا فقد حذَّر أمته من تناقل الكلام المكذوب عليه، داعيًا إلى التّحري والتّثبت فيما يُنسب إليه، فقال: (إن من أعظم الفِرى أن يدَّعي الرجل إلى غير أبيه، أو يُرِيَ عينه ما لم ترَ، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل)[٣].

> **«فإن من مهمات الدين التَّنبيه على ما وُضع من الحديث، واختُلق على سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين»**
>
> الحافظ السيوطي رحمه الله

وحذَّر من هؤلاء الكذابين وتوعّدهم أشد الوعيد، فقال ﷺ: (مَن تعمد علي كذبًا فليتبوأ مقعده من النار)[٤].

كما حمَّل المتكلم مسؤولية ما يقول وينقل ولو لم يكن هو الكاذب، فقال: (مَن حدَّث عنِّي حديثًا وهو يَرَى أنَّه كذِبٌ فهو أحدُ الكاذبَيْن)[٥].

لذا كان الكذب على النبي ﷺ من كبائر الذنوب، ومن القوادح في العدالة، ومن أسباب ردِّ الرواية.

وقد وضع أهل العلم ذلك نصب أعينهم فتتبعوا طرق الأحاديث، ووضعوا القواعد الدقيقة لكشف الخطأ في النقل عن النبي ﷺ ، أو الكذب عليه، وذكر ذلك يطول؛ لكن حسبنا أن نعلم بأنهم عدُّوا هذا العمل من أعظم القرب، وأجل الطاعات؛ كما قال الحافظ جلال الدين السيوطي: «فإن من مهمات الدين التنبيه على ما وُضع من الحديث، واختُلق على سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين»[٦].

> **يكفي الإنسان إذا جهل حكم الحديث أنْ يقول: لا أعلم، ويردَّ الأمر إلى أصحاب التخصص. قال الإمام أحمد رحمه الله: «ينبغي للإنسان إذا لم يعرف الشيء أنْ لا يَرد الأحاديث وهو لا يحسن، يقول: لا أحسن»**

(١) معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح، ص (٤١)، وإرشاد طلاب الحقائق، للنووي، ص (١٥٣)، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد شاكر، ص (٤٤).
(٢) كالموسوعة الحديثية للدرر السنية، والباحث الحديثي، وجامع الكتب التسعة، وغيرها.
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٠٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٠٨)، ومسلم (٢).
(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٦٢).
(٦) اللآلئ المصنوعة، للسيوطي (٩/١).

الحكم بتضعيف الحديث أو وضعه له ضوابط وقواعد:

الحكم على الأحاديث مسألة جليلة مبنية على قواعد علميَّةٍ معلومةٍ رسمها أصحاب الفنّ، كيلا يكون لغير المتخصصين وأصحاب الهوى والمتعالمين سبيلًا للطعن في بعض الأحاديث النبوية بعيدًا القواعد العلمية؛ كتضعيف ما لا يوافق عقولهم كما صنع أهل الابتداع. وفي هذا المقام يقول ابن تيمية: «ولتصحيح الحديث وتضعيفه أبواب تُدخل، وطرق تُسلك، ومسالك تُطرق»[1].

كما أنَّ الحكم بوضع الحديث (أي كونه مكذوبًا على النبي ﷺ) يحتاج إلى الاطلاع على متن الحديث بعد معرفة سنده ورجاله، وقد وضع أهل العلم ضوابط عديدة لك من السند والمتن في تمييز «الحديث» الموضوع عن غيره:

فمن علامات الوضع في السند:

١. أن يكون الراوي معروفًا بالكذب.
٢. أن يُقر الراوي بالوضع.
٣. وجود قرائن تدل على الوضع.

ومن علامات الوضع في المتن:

١. المخالفة الصريحة للقرآن الكريم.
٢. ركاكة اللفظ.
٣. فساد المعنى الذي يدل عليه.

لكن تطبيق هذه القواعد يحتاج للعلماء الخبراء بعلوم الحديث والنظر فيها.

وكما أنَّ الناقل والراوي للأحاديث غير الصحيحة يدخل في زمرة من كذب على النبي ﷺ ، فإنَّ مَن نفى ما صح مِن سنته داخل في جملة هؤلاء كذلك، ويكفي الإنسان إذا جهل حكم الحديث أو لم يكن من أهل التخصص أنْ يقول: لا أعلم، أو أن يرد العلم إلى أصحاب التخصص. قال الإمام أحمد رحمه الله: «وينبغي للإنسان إذا لم يعرف الشيء أنْ لا يَرد الأحاديث وهو لا يحسن، يقول: لا أحسن»[2].

هل رواية الحديث الضعيف ممنوعة مطلقاً؟

يتساهل البعض في رواية وتناقل بعض الأحاديث الضعيفة، ويرون أنَّه ليس في تناقلها بـأس، وليس هذا بدقيق؛ فالأصل ألا يُروى إلا الحديث الصحيح الثابت.

> **«الذي أراه أنّ بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب في كل حال، لأن تركَ البيان يوهم المطلع عليه أنه حديث صحيح، خصوصًا إذا كان الناقل له من علماء الحديث الذين يرجع إلى قولهم في ذلك»**
>
> الشيخ أحمد شاكر رحمه الله

ثمَّ إنْ كانت هناك حاجة علمية حقيقية لنقل أو رواية الحديث الضعيف فإنَّ أهل العلم قد وضعوا شروطًا، وحددوا ضوابطَ لجواز لذلك؛ فمَن قال مِن أهل العلم بجواز رواية الضعيف لم يطلقوا لذلك العنان؛ وإنمَّا جعلوه ضمن قواعد رسموها، ومعالم بينوها؛ فينبغي لكل من يستشهد بالحديث الضعيف أن يكون ذا درايةٍ وعلمٍ بها، وإلا فإنَّه تجوُّزٌ بغير علم، وكانت مفسدةٌ فعله عظيمة، وخطر ما قام به كبيرًا.

وهذه الشروط:

١. ألا يكون الحديث شديدَ الضعف، فلا تجوز رواية ما انفرد به الكذابون، والمتهمون بالكذب، ومن فَحُشَ غلطُه. وقد نقل الحافظ العلائي الاتفاق على هذا الشرط.
٢. أن يكون الحديث المروي في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب لا في الأحكام -الحلال والحرام- والاعتقادات.
٣. ألا يوجد في الباب غيرُ هذا الحديث الضعيف، فعندها يُقدَّم على القياس والاجتهادات.
٤. أن يُبين الراوي أو الناقل أنَّ الحديث ضعيف.

وطرق أهل العلم في البيان تنقسم إلى قسمين :

الأول: طريق الكناية، كأن يقول: «يُروى أو قيل....» وهذه صيغة تمريض تفيد بأن الحديث ضعيف .

لكن هذه الطريقة علمية متخصصة، وغالبًا ما تخفى على الكثير من عامة الناس، ولا يعرفون المقصود بها، فلا يُكتفى بذكرها عند رواية الحديث الضعيف.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٤/١٨).
(٢) مسائل الإمام أحمد برواية ابنه صالح (٢٠/٣).

الثاني: طريق التصريح، وهو أن الراوي إذا سرد الحديث بيَّن ضعفه، وحكى علَّته، ومثاله أن يقول: جاء في الحديث الضعيف كذا وكذا.

والواجب الشرعي على الداعية وطالب العلم في زماننا إذا حدّث بحديث أن يُبيّن للناس حاله بصريح العبارة، وألا يكتفي بالكناية، لأنَّه متبوع، وكلامُه مسموع، فكان لزامًا الإيضاح والبيان الصريح لا الكنائي؛ لأنَّ عامةَ النَّاس لا تدرك معاني المصطلحات والفروق بينها، فضلًا أنَّ هذه الصيغة مختلف فيها بين المتقدمين والمتأخرين.

قال الحافظ ابن الصلاح: «إذا أردت رواية الحديث الضعيف بغير إسناد فلا تقل فيه: «قال رسول الله ﷺ كذا وكذا» وما أشبه هذا من الألفاظ الجازمة بأنه ﷺ قال ذلك، وإنما تقول فيه: «رُوي عن رسول الله ﷺ كذا وكذا، أو بلغنا عنه كذا وكذا، أو ورد عنه، أو جاء عنه، أو روى بعضهم» وما أشبه ذلك»[١].

وقال الشيخ أحمد شاكر: «والذي أراه أنّ بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب في كل حال، لأن تركَ البيان يوهم المطلع عليه أنه حديث صحيح، خصوصًا إذا كان الناقل له من علماء الحديث الذين يرجع إلى قولهم في ذلك»[٢].

أقوال أهل العلم في رواية الحديث الضعيف[٣]:

وتتمة للفائدة فهذا مختصر لأقوال المجوزين والمانعين من رواية الحديث الضعيف على وجه العموم؛ فإن لأهل العلم كلامًا في ذلك.

أولًا: قول المجوّزين:

قال عبد الرحمن بن مهدي: «إذا روينا الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد، وسمحنا في الرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال»[٤]، وروي نحوه عن الإمام أحمد.

وقال سفيان الثوري: «لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم، الذين يعرفون الزيادة والنقصان، ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ»[٥].

والآثار في هذا الباب كثيرة، وهي تدل في مجملها على جواز رواية الضعيف في الفضائل وفي الترغيب والترهيب، وهذا الكلام مقيد بشروط رواية الضعيف التي ذكرها أهل العلم، فينبغي الجمع بين هذه الأقوال للخروج بنتيجة علمية واضحة.

ثانيًا: قول المانعين:

ذهب جماعة من أهل العلم إلى منع رواية الحديث الضعيف، كالإمام مسلم.[٦]، وحكاه ابن سيد الناس في «عيون الأثر» عن يحيى بن معين، والظاهر أنَّه مذهب البخاري[٧]، وأبي بكر بن العربي[٨]، وبه قال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيين، وكذا ابن أبي حاتم، وغيرهم[٩].

لماذا أورد المحدثون الأحاديث الضعيفة في كتبهم؟

مما لا شك فيه أن المحدثين مِن أعلم الناس بالأسانيد، وأعرفهم برجال الحديث، فالسؤال الذي يجول في عقول البعض: لماذا يروي هؤلاء الأئمة الأحاديث الضعيفة في كتبهم؟ والجواب باختصار:

١. ليست كتب الحديث سواء في الرتبة وفي شروطِ الرواية، فبعضهم يشترط الصحيح، وبعضهم يتوسع فيدخل الصحيح والحسن والضعيف إذا لم يوجد في الباب غيره، وما يكون ضعيفًا عند جماعةٍ من أهل العلم قد يكون عند من يقابلهم صحيحًا، وكل منهم مأجور إن ثبت علمه بهذا الشأن، مع كونه بذل الجهد في الحكم عليه.

٢. يعمل أهل العلم بقاعدة: «من أسند فقد أحال»، والمعنى: من أسند فقد برئت ذمته من بيان الصحيح من الضعيف، وحمَّل القارئ مسؤولية البحث عن رجال السند ودراسته والتحقق من صحته.

---

(١) معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح، ص (١٠٣-١٠٤).
(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد شاكر، ص (٨٦).
(٣) أما مسألة العمل بالحديث الضعيف فتلك مسألة أخرى تحتاج لبسط وتوضيح.
(٤) المدخل إلى الإكليل، ص (٥٩).
(٥) الكفاية في علم الرواية، ص (١٦٥).
(٦) قال في مقدمة صحيحه: باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها (١/١١١).
(٧) قواعد التحديث، للقاسمي، ص (١١٣).
(٨) ينظر: تدريب الراوي، (١/٥٠٤).
(٩) يراجع للفائدة: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، للدكتور عبد الكريم الخضير، ص (٢٥٩)، وما بعدها.

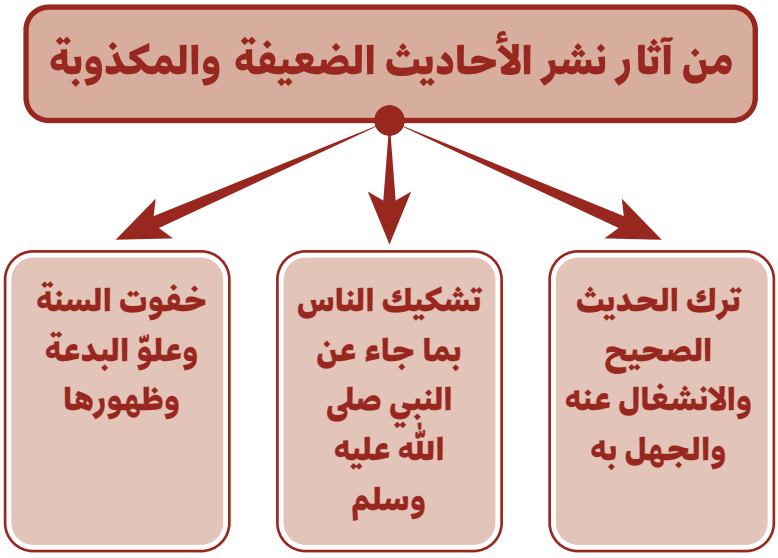

وبهذا يتبين أنهَّم إنمَّا كانوا يخاطبون أهل العلم وطلبته بذلك، لا عامة الناس.

٣. سار جماعة من المحدثين على القول بأنَّ الحديث الضعيف في المسائل الاجتهادية والترجيح إذا لم يكن شديد الضعف، ولم يوجد غيره؛ قدم على آراء الرجال. قال السخاوي عن صنيع أبي داود في «سننه»: «يخرج الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره، وهو أقوى عنده من رأي الرجال»[١].

وإليه ذهب الإمام النسائي، كما نقله عنه ابن منده»[٢].

وهذا أحد أصول فتوى الإمام أحمد كما عده ابن القيم في «إعلام الموقعين» قائلًا: «الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر، ولا ما في رواته متهم؛ بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به»[٣].

رواية «الحديث» الموضوع:

«الحديث» الموضوع **ليس بحديث أصلًا**، لكن يُطلق عليه ذلك من باب التقسيم.

ورواية «الحديث» المكذوب **لا تجوز أصلًا**، يقول ابن الجوزي رحمه الله آخذًا على بعض العلماء روايةَ «الحديث» الموضوع دون توضيح حقيقته: «ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يُبيِّنوا أنَّه موضوع، وهذه جنايةٌ منهم على الشرع، ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم»[٤].

وإنمَّا تجوز روايته للتحذير منه أو بيان كونه ليس حديثًا.

> **«الحديث» الموضوع ليس بحديث أصلاً، لكن يُطلق عليه ذلك من باب التقسيم, وروايته لا تجوز أصلًا، إلا للتحذير منه أو بيان كونه ليس بحديث**

في الصحيح ما يغني عن الضعيف:

مِن خير ما يقال لمن يرغب أن يُحدِّث الناس، ويطمع في أن يسهم بنشر العلم، وينال بركة رواية الحديث الشريف: أن يعلم «بأنَّ في الصحيح ما يغني عن الضعيف»، وهي قاعدة صحيحة نافعة؛ فغالب الناس لا يدققون في سماع ما يصل إليهم

(١) فتح المغيث، للسخاوي (١٤١/١).
(٢) فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار، لابن منده، ص (٧٣).
(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٥٥/٢).
(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص (١٠٦).

أو يقرؤونه، فيتعجلون بالنقل دون تروٍ أو نظر، وكثيرًا ما ينقلون الضعيف دون تنبهٍ إلى تضعيفه أو دون نقل الحكم عليه.

لذا ينبغي لمن أراد رواية الحديث أن يرجع إلى ما صح من الأحاديث في أمهات كتب السنة، وإن كان لا بدَّ من رواية الضعيف لحاجةٍ أو لفائدة علميَّة، وخاصة في البحوث العلمية المتخصصة ونحوها: فليقدِّم رواية الصحيح ثمَّ يثنّي بالتي تليها مع مراعاة القواعد والشروط المذكورة.

وفي تقرير هذه القاعدة يقول الإمام عبد الله بن المبارك: «في صحيح الحديث شغلٌ عن سقيمه»[(١)].

وأصدق منه، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن تَقَوَّلَ علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده مِن النار)[(٢)].

وهي سبب للوقوع في البدع. كما أن في الاهتمام بنشر الأحاديث الصحيحة وتقديمها حماية من الوقوع فيها؛ فإنَّ من أسباب ظهور البدع - كما عده أهل العلم - ظهور الأحاديث الضعيفة، ومنهم الإمام الشاطبي في كتابه القيم «الاعتصام»[(٣)].

وختامًا:

فإنَّه ينبغي لمن أراد رواية السنَّة ونشرها أن يتثبت مما ينقل وينشر، فطرق التأكد من صحة الحديث كثيرة أشهرها كما مر: سؤال أهل العلم، أو الرجوع للمصادر والمواقع الموثوقة للتأكد من الحديث، مع الحذر من الوقوع في الكذب على النبي ﷺ ولو بغير قصد، وذلك بنسبة حديث إليه ﷺ وهو لم يقله، وكذلك من أهم الوسائل تعلم العلم الشرعي.

وعليه أن يعلم أن تحديث العامة مختلف عن الحديث في مجالس العلم وبين أهله، فلا ينبغي أن يُحدث العامة بما يلتبس عليهم ولا يستطيعون التفريق به بين الصحيح والضعيف.

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١٢٢/٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤)، وأحمد (٨٢٤٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٩).
(٣) ينظر: الاعتصام، للشاطبي (١٦/٢).

قراءة في كتاب: (الجناية على البخاري) للأستاذ مروان الكردي

أ. عبد الملك الصالح (*)

ما زال أعداء الإسلام يشككون بالسنة النبوية، وما زال أهل العلم يردّون شبههم، ومن الكتب النافعة التي ردت على مؤلَّف لأحد الطاعنين في صحيح البخاري كتاب (الجناية على البخاري)، حيث عمد مؤلفه الشيخ (مروان الكردي) إلى رد كثير من الشبه القديمة والأباطيل الحديثة التي وردت بمنهجية سلسة وأجوبة مسكتة.

مدخل:

تعرّضت السنّة النبوية لمحاولات التشكيك بها على مرّ العصور، ولا يزال المشكّكون من أعداء الإسلام وأذنابهم يكرّرون شبهاتِ مَن قبلَهم ويخترعون شبهات جديدة، ولا يزال أهل العلم يَردون شُبهَهم ويدمغون باطلهم بالحقّ الأبلج؛ قيامًا بحق الله عليهم.

ومن هؤلاء الطاعنين: «زكريا أوزون»، وهو مهندس سوري مختصّ في دراسات البيتون المسلّح وأعمال التدعيم الإنشائي، مقيم في إيرلندا[1].

سوَّد بياضَ صفحاتٍ جمع فيها شبهًا قديمة نقلها، وأضاف إليها ما وسوس إليه شيطانه، وألقى بها في فضاء الإنترنت، وأعانه على نشر أباطيله وجناياته على الإسلام بعضُ القنوات غربية الهوى والتمويل، وجمع في هذا ما سمّاه (جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين).

فانبرى لهذا المأفونِ عالمٌ فحل بَيَّن بقوة الحجة تهافتَ الشبهات التيَ جمعها «أوزون»، وكشف عَوارَ فِكره، وأبطل كيده وردّه في نحره، إنّه الشيخ: «مروان الكردي»، مؤلف كتاب (الجناية على البخاري) الذي نقدّم قراءة فيه في هذه المقالة.

(*) إجازة في الشريعة من جامعة دمشق، ماجستير في الحديث وعلومه.

(١) وجَّه «زكريا أوزون» اهتمامه إلى الطعن في ثوابت الإسلام ومصادره في عدة كتب، ككتاب (الإسلام هل هو الحل؟) صرح فيه بأن: «الحل يكون في العلمانية» وبأن: «لا مكان للدين في سياسة البلاد»، وله كتب في الطعن في أركان الإسلام الأربعة (الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج)، ويتهم المسلمين عمومًا وعلماءهم خصوصًا بالكذب والتزوير في كتابه (لفّق المسلمون إذ قالوا).

نبذة عن المؤلف[1]:

مروان بن عزيز الكردي، باحث شرعي عراقي، من كردستان العراق، يكتب بالعربية والكردية، تخصص في الدفاع عن الإسلام وردّ الشبهات، له من الكتب: (الجناية على البخاري، الجناية على سيبويه، الجناية على الشافعي، الوحي الثاني في ضوء الوحي الأول)، وله شروح على كتب في علوم متعددة.

اسم الكتاب:

الجناية على البخاري: قراءة نقدية لكتاب جناية البخاري.

وصف الكتاب:

يقع الكتاب في ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط، طبعه مكتب التفسير للنشر والإعلان، في أربيل، ٢٠١٧م.

تتبع المؤلف فيه ما في كتاب الجاني «أوزون» من الشبهات وجمع بين المتشابه منها وأجاب عليها شبهةً شبهة، مع استطراده في ذكر الحجج التي تكفي للرد على شبهات «أوزون» وغيره من المتقدمين والمعاصرين.

> **تتعرض السنة للطعن من غير المتخصصين الذين لا يعرفون القواعد الحديثية، ولا يميزون بين الصحيح والفاسد، ويعتمدون في معلوماتهم على كتابات المستشرقين، فكانت كتاباتهم مبنيةً على الجهل، وأبعد ما يكون عن العدل والإنصاف والموضوعية والموثوقية**

القراءة في الكتاب:

ذكر المؤلف في مقدّمة كتابه لمحة عمّا تتعرّض له السنّة المطهّرة من طعون من غير المتخصصين الذين لا يعرفون شيئًا عن القواعد الحديثية، ولا يميّزون بفهمهم السقيم بين الصحيح والفاسد، ويعتمدون في معلوماتهم على كتابات المستشرقين، فكانت كتاباتهم كلّها مبنيةً على الجهل، وأبعد ما يكون عن العدل والإنصاف والموضوعية والموثوقية.

> **لا يزال المشكّكون من أعداء الإسلام وأذنابهم يكرّرون شبهاتِ مَن قَبلهم ويخترعون شبهات جديدة، ولا يزال أهل العلم يَردون شُبهَهم ويدمغون باطلهم بالحقّ الأبلج؛ قيامًا بحق الله عليهم**

«زكريا أوزون» وأزمة المصادر:

في هذا الإطار بيّن المؤلّف حال «أوزون» مع المصادر التي اعتمد عليها وأنّها غير موثوقة في الجملة، فمِن أهم ما اعتمد عليه: (حياة الحيوان للدميري، والبيان والتبيين للجاحظ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومروج الذهب للمسعودي)! وهي كتب قصص وفكاهة، وفيها أكاذيب وأساطير، ومؤلف كتاب (الأغاني) متّهم بالكذب والتشيع[2].

وإذا نقل «أوزون» مِن كتب التاريخ: عزا النقل إلى الكتاب بذكر اسمه دون ذكر الجزء والصفحة، حتى لو بلغ عدد مجلداته ثلاثين مجلدًا. ويعتمد على مجرّد النقل منها دون تمحيص، ومعلوم أنّ كتب التاريخ كـ (تاريخ الطبري، تاريخ دمشق، الكامل في التاريخ، سير أعلام النبلاء، تاريخ الإسلام، البداية والنهاية، تاريخ بغداد، المنتظم) جمع فيها مصنفوها ما وصلهم مِن الروايات بأسانيدها دون تحقيق، وتركوا التمحيص في صحّتها لمن يليهم من المحقّقين، وقد صرّح بعضهم -كالطبري[3]- بأنّ فيها الضعيف والموضوع-، وفيها أخبار بلا أسانيد أصلًا، فهل يجوز الاعتماد على ما ورد بإسناد ضعيف أو موضوع أو بلا إسناد؟!

«زكريا أوزون» وأزمة الفهم والمغالطة والافتراء:

ملأ «أوزون» كتابه بالكثير من الجهل والمغالطة والافتراء، فأخذ في الطعن في السنّة النبوية وحجّيتها وكونها مصدرًا للتشريع، والتشكيك في عدالة رواتها

---

(١) مستفادة من الصفحة الشخصية للمؤلف على الفيس بوك.

(٢) روى الخطيب في تاريخ بغداد (٣٣٧/١٣) عن أبي الحسن النوبختي (وهو معاصر لأبي الفرج) أنه قال: «كان أَبُو الفرج الأصبهاني أكذبَ الناس، كان يدخل سوق الوراقين، وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلها منها».

(٣) تاريخ الطبري (٨/١)، قال رحمه الله: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهًا في الصحّة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلنا، وإنّما أتي مِن قِبَلِ بعض ناقليه إلينا، وإنا إنّما أدينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا»..

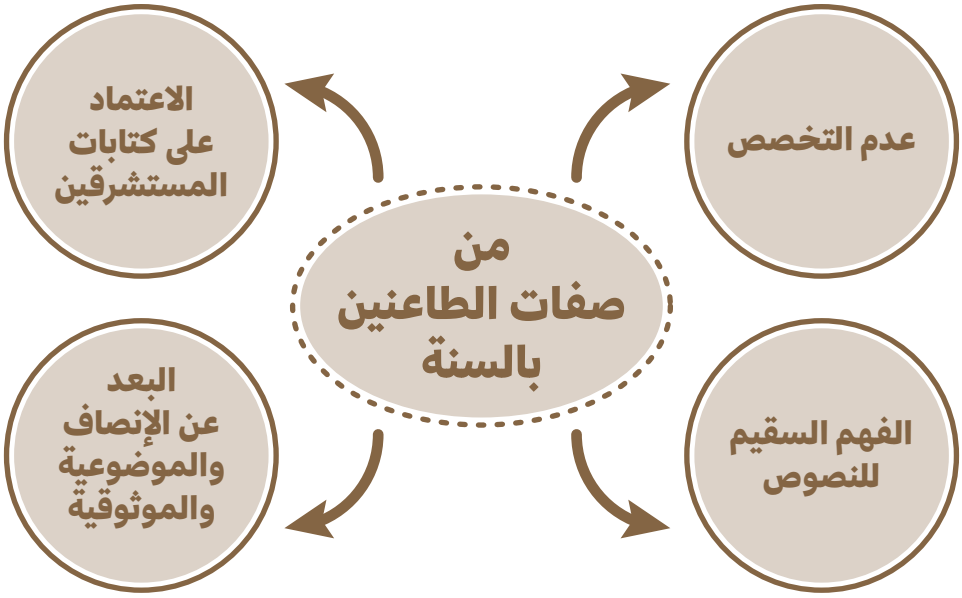

وفي مقدّمتهم الصحابة ﷺ، ثم بدأ التشكيك بصحّة أحاديث البخاري بزعم مخالفتها للعقل، وللقرآن الكريم، وللمعطيات العلمية والأعراف السائدة اليوم! إلى غير ذلك من الشبهات والترّهات التي قام المؤلف –جزاه الله خيرًا– بالردّ عليها وتفنيدها. وسأقتصر في هذه القراءة على بعض هذه الردود بذكر خلاصتها، وأترك سائرها لمن سيقرأ الكتاب كاملاً.

مشكلة «أوزون» مع العقل والنقل:

ذكر المؤلف أن «أوزون» ليس أول ولن يكون آخر من يقدِّم العقلَ على النقل، وهذه مشكلة منهجية، فـ«أوزون» حين يُهدي كُتبه (جناية البخاري، جناية سيبويه، جناية الشافعي) إلى كل مَن يحتكم إلى العقل في الحكم على النقل يدّعي بأنّه لم يهتدِ إلى الحق إلا هذه الفئة التي يُهدي إليها كتبه.

حجية السنة النبوية عند جميع الفرق الإسلامية:

يدعي «أوزون» أنّ إشكالية الحديث النبوي مِن أهم وأعقد الأمور في الدين الإسلامي.

فإن كان يقصد أنّ السنّة اختلط صحيحها بضعيفها: فهذا ليس مشكلًا ولا معقدًا، بل يميزها الطالب المبتدئ في علم الحديث، ولا يوجد حديث واحد لا نستطيع أن نحكم عليه بالصحة أو الضعف.

وإن كان يقصد أنّ السنّة ليست حجةً: فيُرد عليه بأنّ السنة النبوية حجّة عند جميع الفرق الإسلامية، وقد ذكر المؤلف نقولات تفيد ذلك.

> **تلقّى المسلمون صحيح البخاري بالقَبول واعتقدوا صحّته، لكن هذا لم يجعلهم عُميًا عن نور البحث والتدقيق، بل وضعوه تحت الدراسة والتحليل العلمي الرصين، وبمنهجية رصينة لم يعرفها غيرُ المسلمين**

هل صحيحُ البخاري مقدّس؟

تلقّى المسلمون صحيح البخاري بالقَبول واعتقدوا صحّته، لكن هذا لم يجعلهم عُميًا عن نور البحث والتدقيق، بل وضعوه تحت الدراسة والتحليل العلمي الرصين، وبمنهجية رصينة لم يعرفها غيرُ المسلمين.

وقد انتقد الدارقطني في الصحيحين عددًا من الأحاديث، ومع أنّه لم يُصِب في جلِّ الأحاديث التي تكلّم فيها إلّا أنّ العلماء لم يقدحوا فيه، بل ردّوا عليه باحترام بالغ؛ لأنّه تكلم بعلمٍ واعترض بحلمٍ دون هوىً أو فظاظة.

الأجوبة المسكتة لتساؤلات «أوزون» حول السنة النبوية:

١. هل الحديث النبوي وحي منزّل؟

يدعي «أوزون» أن الحديث النبوي ليس وحيًا منزلًا.

والردّ عليه جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، ولا يمكن أن يُراد بالضمير (هو) القرآن الكريم؛ لأنّه ليس له ذِكر من بداية السورة، والآية جاءت مطلقةً في نفي الهوى عن قوله ﷺ، وهذا يشمل قولَه في أمور الدين والدنيا، أمّا أمور الدنيا فليس قولُه فيها دينًا ملزمًا، وأمّا أمور الدين فنُطقُه فيها إمّا قرآن وإمّا سنّة، وكلاهما وحي من الله، ونفيُ الهوى شامل للنوعين.

يضاف إلى هذا: اقترانُ طاعةِ الرسول ﷺ بطاعة الله، واقتران (القرآن) بـ (الحكمة) في آيات عديدة بحرف العطف الذي يقتضي المغايرة، فينبغي أن تكون (الحكمة) هي سنته ﷺ.

٢. هل ثبوت الأحاديث جميعها محل الظن؟

يعترض «أوزون» على الحديث بأنّه: «ظنّي الثبوت، ولو كان ظنّي الثبوت لم يكن وحيًا».

والجواب: أنّ كثيرًا من الأحاديث ثبتت بالتواتر اللفظي أو المعنوي، وغالب الأحكام العقدية والفقهية تندرج تحت أحد هذين النوعين.

كما أنَّ المسائل الفقهية يكفي فيها الظنّ الراجح، وقد أُخرجت الأحاديث الصحيحة بطريقة التنقية التي لا تدع مجالًا للشك فيها.

٣. الأحاديث نُقلت بالمعنى دون اللفظ.

هذا الاعتراض يُظهر قلّة بضاعة «أوزون» في المعقول والمنقول؛ فالأحاديث معناها وحي من الله تعالى واللفظ للنبي ﷺ، والرواية بالمعنى وقعت في بعض الألفاظ لا في كلّ المتن، ووضع العلماء شروطًا لجواز الرواية بالمعنى مِن أهمّها: معرفته بالعربية بحيث لا يتغير المعنى.

٤. لم يأمر النبي ﷺ بكتابة السنة.

وهي شبهة استشراقية قديمة، فالكتابة لم تكن منتشرة في ذلك العصر حيث كان العرب يعتمدون على مَلَكَة الحفظ، فكان الرجل يحفظ القصيدة من عشرات الأبيات من مرّة واحدة.

وعلى الرغم من ذلك فقد كُتبت أحاديث كثيرةٌ في عهد النبي ﷺ، وقد أمر النبي ﷺ بكتابة العقود والعهود والرسائل التي أرسلها إلى الملوك، وأمر بكتابة وثيقة المدينة عندما وصل إليها، وأمر بكتابة (كتاب الصدقات)، وكان عند كثير من الصحابة صحف كتبوها من حديث النبي ﷺ[١].

٥. النهي عن كتابة السنّة.

يستدلّون بحديث: (لا تَكتبوا عني، ومَن كتب عني غيرَ القرآنِ فَلْيَمْحُهُ)[٢] والراجح أنّ الحديث موقوف على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كما رجّح ذلك البخاري، ويرى مَن يصححه أنّ هذا كان في أول الإسلام ثم نُسخ بالأحاديث التي يأمر فيها النبي ﷺ بالكتابة.

> **قرر علماء الإسلام أن ما صدر عن النبي ﷺ كله شرع، فإما أن يفيد الوجوب أو الندب أو الإباحة، بحسب القرائن والجمع مع الأدلة الأخرى**

٦. هل السنّة مصدر تشريع؟

يقول «أوزون»: «أغلب الحديث النبوي ليس مصدر تشريع؛ لأنّ معظم ما وصلنا عن طريقه لم ينفرد به النبي ﷺ عن غيره من الناس لكي يُتخذ شرعة ومنهاجًا مِن بعده، فمثلًا لم يكن النبي ﷺ أول إنسان يأكل باليمين أو يأكل التمر... أو يبكي على وفاة ابنه أو ينام على جنبه الأيمن أو يقبّل النساء».

والجواب: أنّ علماء الإسلام قرّروا أنّ ما صدر عن النبي ﷺ إن كان من أمور الدنيا فهو ليس شرعًا مُلزمًا، وإن كان من أمور الدين فكلّه شرع. وصحيح أنّ النبي ﷺ ليس أول من أكل باليمين لكنّه نهى عن الأكل بالشمال فيستفاد من النهي

(١) ينظر: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، للدكتور مصطفى الأعظمي، تتبع فيه الكتب التي دونت سنة النبي ﷺ منذ عصر الصحابة وما بعده.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٤).

الكراهة، ولم يكن أول من يقبّل النساء لكن يستفاد من هذا الفعل جواز التقبيل للصائم وعدم فساد الصيام بالقُبلة، والبكاءُ على الولد يستفاد منه أنّه لا ينافي الصبر المأمورَ به.

٧. هل الحديث النبوي مقدَّس؟

يتساءل «أوزون» ثم يقرّر: «بناء على ما سبق فإنّ الحديث النبوي ليس مقدسًا» ثم يستدل على هذا بقوله: «معظم ما ورد في الصحاح والمتون وغيرها عند أهل السنّة لا يُعترف به عند الإخوة الشيعة».

والجواب: ليست قداسةُ شيءٍ متوقفةً على إقبال الناس عليه أو عدم إقبالهم، بل هو متوقف على ذات الشيء هل هو صحيح؟

ويقال: إن كنت تقصد الزيدية فهذا غير صحيح، فهم يؤمنون بكتب الحديث عند أهل السنة ويحترمونها، وإن كنت تقصد الروافض فهم يصرّحون بتحريف القرآن الكريم ونقصه.

ولو طبقنا هذه القاعدة «الأوزونية» لَآلَ كلُّ مقدس إلى الزوال.

٨. هل كلّ رواة الحديث من الصحابة عُدول؟

يقول «أوزون»: «إنّ الصحابة كغيرهم من الناس يخطؤون ويصيبون، يضلون ويهتدون، يعلمون ويجهلون، ونزلت فيهم آيات عديدة من القرآن الكريم تنتقدهم وتصحح مسارهم وأعمالهم، حتى إنّ سورة التوبة سُميت بالفاضحة لأنّها أظهرت حقائق الكثير منهم آنذاك».

والجواب: لماذا لا يكون «أوزون» صادقًا، ويصرّح بأنّ سورة التوبة نزلت في المنافقين وفضحتهم؛ لأنّهم تركوا الجهاد وأعانوا الكافرين؟!.

يكفي الصحابةَ ﷺ ثناءُ الله عليهم، من مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله فيها ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وليس معنى عدالة الصحابة أنّهم معصومون من الآثام، فهم بشر كغيرهم، يقعون في الصغائر، وقد يقع بعضهم في الكبائر لكنه لا يستمر عليها فيرجع ويتوب، ولكنّ معناها أنّهم صادقون فيما نقلوه من حديث رسول الله ﷺ وهذا بإجماع الأمة.

وأعداء الإسلام وأذنابهم أرادوا الطعن في الصحابة؛ ليَردُّوا كلّ ما جاء عن طريقهم.

تكررت إساءات «أوزون» لكبار الصحابة، فطعن بأبي هريرة وافترى على أم المؤمنين عائشة وكذلك على حبر الأمة ابن عباس ﷺ أجمعين، حيث سرق بعض إساءاته من سابقيه، واعتمد في الأخرى على مرويات باطلة لم تثبت

جناية «أوزون» على أبي هريرة:

إنّ الادعاءات التي ساقها «أوزون» على أبي هريرة ﷺ سرقها من الشقي محمود أبي رية دون أن ينسبها إليه، وهو يتكلّم عن المنهجية العلمية والبحث والتنقيح، فلِمَ لَم ينسبها إليه؟ ولو أنّه قرأ ما كتبه الشيخ عبد الرحمن المعلّمي أو الدكتور مصطفى السباعي في تفنيد شبهات أبي رية ما نقل منه حرفًا.

مدة صحبة أبي هريرة ﷺ للنبي ﷺ وعدد رواياته:

يقول «أوزون»: «التقى أبو هريرة بالرسول[١] لفترة لم تزد على السنة وتسعة أشهر بأية حال من الأحوال، ومع ذلك فقد كان أكثرَ الصحابة رواية عن الرسول، مما جعل الصحابة وعلى رأسهم السيدة عائشة يتهمونه وينكرون عليه ذلك».

وفي هذا عدة تحريفات:

١. كلامه يُشعر بأن اللقاء كان في السوق أو الطريق، ليسلب من أبي هريرة ﷺ فضيلة الصحبة والهجرة إلى النبي ﷺ، مما يبين حقده الدفين.

٢. قوله: «لفترة لم تزد على السنة وتسعة أشهر» هو باطل محضٌ، فأبو هريرة صحب النبي ﷺ أكثر من أربع سنوات؛ قال الحافظ ابن حجر: «قدم في خيبر سنة سبع وكانت خيبر في صفر ومات النبي ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة، فتكون المدة أربع سنين وزيادة»[٢].

٣. أما عن كثرة الأحاديث المروية عن أبي هريرة: فهذا لأنّ أبا هريرة ﷺ عاش بعد النبي ﷺ سبعًا وأربعين سنة، ونشر العلم الذي سمعه منه، وهذه الأحاديث مكررة تكرارًا كثيرًا في كتب السنة، وما انفرد به أبو هريرة في الكتب التسعة هو اثنان وأربعون حديثًا فقط، تشمل الصحيح والضعيف[٣].

٤. أما اتهام الصحابة لأبي هريرة ﷺ فلا يمتُّ إلى الحقيقة بصلة، قال ابن عمر ﷺ: «أبو هريرة خير مني وأعلم بما يُحَدِّث»[٤].

وما ذكره «أوزون» مِن أنّ عليًا ﷺ كذَّب أبا هريرة فباطل، ذكره ابنُ أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بلا سند عن أبي جعفر الإسكافي، وبينهما أكثر من أربعة قرون، وبين أبي جعفر وعلي ﷺ مئتا سنة.

وأما عن تكذيب عائشة لأبي هريرة ﷺ فباطل أيضًا، إنّما كانت اجتهادات اختلفا فيها كسائر العلماء، وكانت ﷺ تُقَرِّبُ أبا هريرة، وكان يستعين بها في تثبيت الأخبار عن النبي ﷺ، فكان له مجلس في المسجد قريبًا من حجرتها وإذا حدّث عن النبي ﷺ رفع صوته ليُسمعها، ويقول: «اسمعي يا رَبَّةَ الحُجرة»[٥].

هل خان أبو هريرة مال البحرين؟

ذكر «أوزون» قصة سؤالِ عمر ﷺ لأبي هريرة ﷺ عن المال الذي يملكه بعد عزله له عن البحرين، فأجاب أبو هريرة ﷺ بأنّه مالٌ اجتمع له مِن الأعطيات، ومن غلة رقيقه ونتاج خيوله، فرضي عمر بجوابه، فقلب «أوزون» القصة وأوحى للقارئ خلاف الحق، وقدم وأخّر، وحذف ما يُفصِح عن صدق أبي هريرة وتصديق عمر له، ويفسد عليه تدبيره ودَسَّه وطعنَه في أبي هريرة ﷺ، خصوصًا حذف ما ورد في القصة: فنظروا فوجدوه كما قال، فدعاه عمرُ بعدُ ليوليه فأبى[٦].

---

(١) ذكر «أوزون» رسولَ الله ﷺ مرات كثيرة، وترك الصلاة عليه ﷺ، ونادرًا ما يكتب (ص) هكذا، وكذا ترك الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم، مما ينبئ عن عدم احترامه للنبي ﷺ وللصحابة رضي الله عنهم.

(٢) فتح الباري (٦٠٨/٦).

(٣) ينظر للأهمية مقال: (اتقوا الله في أبي هريرة) في موقع الدكتور محمد عبده يماني رحمه الله. قلت: أخبرني شيخنا المحقق محمد طاهر البرزنجي حفظه الله أن عدد ما انفرد به أبو هريرة من الصحيح هو ثمانية أحاديث فقط، حسب إحصاء قام به.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣٥٧/٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩٣) (٧١).

(٦) القصة بتمامها في سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦١٢/٢).

افتراءات «أوزون» على أم المؤمنين عائشة:

أساء «أوزون» إلى أم المؤمنين عائشة ﵂، التي ارتضاها ربنا جل وعلا أمًا للمؤمنين جميعًا في كتابه، ووجه إليها إساءات منها:

١. كانت سيرة حياتها مليئة بالخلاف مع الآخرين، وضرب لهذا مثالًا: أنّها كانت تغار من باقي زوجات النبي ﷺ!! ويرد عليه: بأنّ الغيرة فطرة في النساء ولا لوم عليهن فيها.

٢. صراعها مع عثمان وتكفيرها له، وهذا من الكذب الذي أخذه من كتاب (الأغاني) للأصفهاني، وقد ذكره بسند فيه مجاهيل وكذّابون.

افتراءات أوزون على حَبر الأمة ابن عباس:

ادعى «أوزون» أنّ ابن عباس كان في الحادية عشرة عند وفاة النبي ﷺ، ومع ذلك فقد روى (١٦٦٠) حديثًا أثبتها البخاري ومسلم في كتابيهما.

وهذا كذب؛ فقد ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين، فيكون عمره عند وفاة النبي ﷺ (١٤)، ولم يرو له الشيخان هذا العدد، بل اتفقا على (٧٥) وانفرد البخاري بـ(٢٨) ومسلم بـ(٤٩)، وليست هذه الأحاديث كلها عن النبي ﷺ مباشرة، بل روى أيضًا عن أبيه العباس وعن عمر وعلي ومعاذ وابن عوف وأبي ذر وعدد من الصحابة ﵃.

ثم ادعى «أوزون» أنّ ابن عباس استولى على مال البصرة عندما كان واليًا لعلي، وذهب به إلى مكة، وهذا كذب رواه الطبري بسند فيه أبو مِخْنَفٍ الرافضي الكذاب الوضاع، وهو رواها عن مجهول عن مجهول.

> **يعترض أناس على النصوص الصريحة مِن الكتاب والسنة زاعمًا عدم توافقها مع الحقائق العلمية، وفي الحقيقة ما هي إلا نظريات لم تثبت. وليس هناك نص صحيح صريح يخالف الحقائق العلمية، كما لا يخالف صحيح المعقول**

جناية «أوزون» على الأحاديث النبوية:

اعتراض «أوزون» على الأحاديث النبوية بحجّة أنّها «لا توافق المعطياتِ العلمية والنظمَ والأعرافَ السائدةَ اليوم».

ونلفت النظر إلى أنّ الإنسان مهما توصل إلى اكتشاف المجهولات والعلم بالأشياء التي لم يعرفها من قبل ومهما بحث في السماء والأرض والبيئة التي يعيش فيها كانت الأشياء التي لم يكتشفها أكثر، والعقلُ البشري في غاية القصور، وهو

محدودٌ بحدود لا يتجاوزها، والعلم التجريبي أكثر محدودية من العقل وتقريراته[١].

النظرية شيء والحقيقة شيء آخر:

من المهم جدًا التفريق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية؛ فالنظرية العلمية على قيد البحث والتنقيح ليست ثابتةً ولا تفيد العلم اليقيني باتفاق. أما الحقيقة العلمية فخرجت مِن دائرة البحث وصارت مجمعًا عليها، كجمع الواحد مع الواحد الذي يصير اثنين.

ويقع الخلط بين الأمرين، فيعترض أناس على النصوص الصريحة مِن الكتاب والسنة زاعمًا عدم توافقها مع الحقائق العلمية، وفي الحقيقة ما هي إلا نظريات لم تثبت.

وليس هناك نص صحيح صريح يخالف الحقائق العلمية، كما لا يخالف صحيح المعقول[٢].

جناية «أوزون» على أحاديث صحيح البخاري:

اعترض «أوزون» على أحاديث كثيرة رواها البخاري في صحيحه، وفيما يلي بعضها والجواب عنها:

١. كيف تسجد الشمس تحت العرش؟

هذا الأمر مِن الغيبيات التي لا علم لنا بحقيقتها، واعتراض «أوزون» على الحديث هو اعتراض على القرآن الذي أثبت سجود الشمس: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]. فلماذا لا يكون صريحًا في انتقاد الآية كما انتقد الحديث!

إنّ لهذه السجدة كيفيةً مخصوصةً أودعها اللهُ تعالى في الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، مباينًا لما ألفناه مِن السجود، تشتركان في الاسم دون الهيئة والماهية، كما تشترك الأشجار في التنفس مع الإنسان والحيوان في الاسم دون الهيئة.

٢. كيف يكون طول آدم سبعين ذراعًا والعلم لا يثبت ذلك؟

الجواب: عدم اكتشاف الشيء لا يدل على عدم وجوده، والتغير في الخَلق طبيعي مِن زمن إلى آخر، فقد عاش نوح أكثر مِن ألف عام، فما الفرق بين طول آدم وعمر نوح؟![٣].

٣- لا فائدة في الحبة السوداء:

يقول «أوزون»: «لم تثبت فعاليتها في كثيرٍ مِن الأمراض السائدة اليوم أو حتى في أيامهم كالطاعون مثلًا».

والجواب: «أوزون» لا يفهم أساليب العربية، فالمقصود مِن الحديث (أمراض كثيرة) لا كلّ الأمراض، وهذا معروف في لغة العرب، وقد ذكر علماء الطب الحديث أكثر مِن عشرين فائدة للحبة السوداء[٤].

٤. كيف يَنزل الله إلى السماء؟

الجواب: نحن لا ندرك كُنْهَ ذات الله ولا ندرك كنه صفاته، فلا يُسأل عنها بكيف.

٥. قتل كعب بن الأشرف لاتهامه بهجاء النبي ﷺ!

يوهم «أوزون» أنّ النبي ﷺ أمر بقتل كعب لأنّه كان صاحب رأي وفِكر، والحقيقة أنّه كان يهجو النبي ﷺ في شعره ويحرّض كفار قريش عليه، وهذه خيانة عظمى لا يشملها عفوٌ، حتى في قوانين العالم اليوم.

٦. في صحيح البخاري أنّ الرسول ﷺ كان غازيًا همه الغنائم وقهر الآخرين!

الجواب: أمر الله تعالى بالجهاد لدفع العدوان وتثبيت قوة المسلمين وإقامة العدل وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، وأباح الله الغنائم في الكتاب العزيز، و«أوزون» يعترض على حكم الله ويريد منّا رده.

---

(١) ذكر الشيخ مروان نظريات كسب المعارف والعلوم واختلاف المدارس فيها (القديمة والحديثة) وهو استطراد يبين اختلاف الناس في معنى العلوم التي يدَّعون أنها مقياسٌ لقَبول الآيات والأحاديث.

(٢) هذا القول ليس ادعاءً بلا دليل، بل هو الحق الذي لا شك فيه، وأكبر أدلته عدم الوجود. وقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مصنفًا كبيرًا حافلًا في استحالة مخالفة صحيح المنقول لصريح المعقول، وسماه (درءُ تعارض العقل والنقل) طبع في عشرة مجلدات.

(٣) الروايات الصحيحة في الصحيحين (ستون ذراعًا) فهل تعمد «أوزون» ذكر الرواية الضعيفة لزيادة الاستغراب؟

(٤) ذكر الدكتور حسام عرفة في مقال أعده عن الحبة السوداء أكثر من مئة وخمسين بحثًا عن فوائدها، ويأتي معظم هذه الأبحاث من أوربا، وتحديدًا النمسا وألمانيا، ينظر: مقال: مِن الإعجاز العلمي في الطب النبوي «الحبة السوداء شفاء من كل داء»، لزكريا الحسيني محمد، موقع مداد. وينظر أيضًا: مقال: أسرار الحبة السوداء تتجلى في الطب الحديث، للدكتور حسان شمسي باشا، موقع قصة الإسلام.

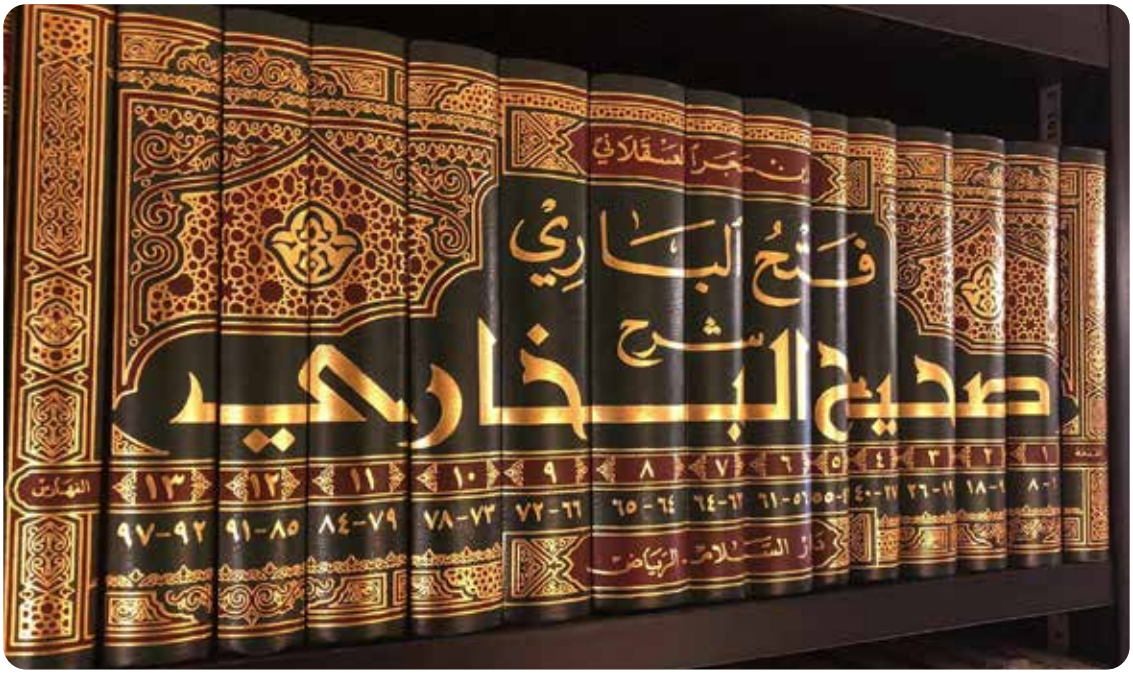

٧. هل سُحر النبي ﷺ؟

الجواب: السحر من جنس الأمراض التي تواجه بني آدم لا فرق بين نبي وغير نبي، وسحر النبي ﷺ لن يؤثر في دعوته أو يشكّك فيها؛ لأنّ الله تكفّل بحفظ الرسالة مهما اشتدت الأزمات، واقتصر تأثير السحر على تخيّل حدوث أشياء من أمور العادات لم تحصل، كما حصل مع موسى عليه السلام حيث تخيّل الحَبل حيةً تسعى.

٨. لم يَقبل النبي ﷺ -حسب البخاري- إلا باتباع الناس له رافضين كلّ الأديان!

الجواب: هذا كذب؛ ماذا عن أهل الكتاب الذين يعطون الجزية؟ وماذا عن غير المسلمين الذين يعيشون في ديار الإسلام آمنين؟

٩. المرأة في صحيح البخاري لا تتساوى مع الرجل!

الجواب: المرأة هي أم وأخت وزوجة وبنت، وليست في درجة ثانية كما يدّعي «أوزون»، بل لها حقوق وعليها واجبات كالرجل، والنبي ﷺ أمر الرجل الذي يريد الغزو أن يلزم أمّه، وأخبره أنّ الجنّة تحت رجليها[1].

كلمة الختام:

هذه مجرّد أمثلة لردود المؤلّف على ما جاء به «أوزون» من جنايات وأباطيل تتعلّق بأحاديث أصحّ كتب السنّة على الإطلاق، تصبّ كلّها في ضرب الأحاديث بالقرآن للتشكيك فيهما معًا، والطعن في تشريعات الإسلام، وتشويه صورة الصحابة ﷺ، فضلًا عن الطعن في شخص البخاري رحمه الله تعالى.

وقد أجاد المؤلف في تتبّع هذه الشبهات وتفنيدها، وختم بترجمة وافية للإمام البخاري رحمه الله، مع بيان منهجه في صحيحه وشروطه التي وضعها لقبول الأحاديث.

وكَشَفَ عن غاية «أوزون» من كتابه الـمُجحف، فهو لم يأت بجديد في اعتراضاته، فكلّ اعتراضاته قديمة، وقد أجاب عنها العلماء بما يفنّدها ويقطع بوَهائها، لكنّه الولع بانتقاد الشرع الشريف مِن غير أهل الاختصاص، يلبس صاحبه لباس المدافع عن الدين والخائف على دين الناس، حيث يدعي «أوزون» أنّه (يُنقذ الدين مِن إمام المحدثين) فلم يُبق لنفسه ولا لمن يتابعه في خزعبلاته دينًا، لا سيما مع اتضاح كامل منهجه في الطعن بأصول الدين وأركانه في بقية كتبه، فماذا يبقى بعد هذه الجنايات مِن الدين؟!

(١) ينظر: النسائي (٣١٠٤).

نصرة الظالم المسلم

أ.محمد خير الحراكي

لا ينبغي تبرير الخطأ أو التقليل من شأنه ولو صدر من أحبِّ الناس وأقربهم، فمنهج الاسلام واضح في ذلك، قال النبي ﷺ: (انْصُرْ أَخاكَ ظالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كيفَ أَنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ، أوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ).

ونصرته ظالماً يكون بكفه عن الغيّ وتوجيهه إلى الطريق السويّ حسب الاستطاعة ومراتب النهي عن المنكر، (مَن رَأَى مِنكُمْ مُنكرًا فَلْيُغَيِّرهُ بيدِهِ، فإنْ لم يَستَطِعْ فبلِسانِه، فإنْ لَم يَسْتَطِعْ فبِقَلبِهِ، وذَلِكَ أَضعفُ الإيمانِ).

غالبًا ما يتداعى الناس لنصرة من وقع عليه الظلم، ولا يهتمون بنصرة الظالم، فكم من أخ وحبيب يحتاج لنصرتنا تركناه فريسة لظلمه وأسيرًا لبغيه، ولربما أعنَّا الشيطان عليه بهجر أو تبرّؤ، في الحديث السابق إشارة مهمة عندما قدَّمَ النبي ﷺ نصرة الظالم على نصرة المظلوم؛ لأنَّ بقاءه على ظلمه مهلكة له، فالظالم –والقريب خاصة– قد يردعه تذكيرٌ أو نصيحة، ولو احتاج في ذلك إلى ترهيب أو قوة، المهم ألا ندع الظالم دون معالجة بالحكمة وبما تقتضيه المصلحة.

تجدُّد اللغة

أ. عبد الله الرزقو

تكلَّم أهل اللغة في مسألة توقيف اللغة من عدمه، فمال إلى كلِّ رأيٍ فريقٌ منهم، وذهب آخرون إلى أن من اللغة ما هو توقيفي، ومنها ما هو اصطلاحي، ولعله الأقرب. وقالوا: اللغة توقيفية، لكن من خصائصها الاتِّساع، والقابلية للزيادة والنمو، وهذا ما نلحظه حتى في فطرة الأطفال، حيث إنهم ينحتون مما حولهم ألفاظًا وتعابير يتخاطبون بها، كقول أحدهم: سمعت طفلا يقول: «أمسك الوقّافة»، أي المكابح! كما أنهم يبتكرون مسمَّيات كثيرة لألعابهم، وها نحن نرى أنّ شبابنا لم تُعجزهم اللغة في استحداث عبارات لعالمهم المفضل «الإنترنت»، فظهرت مصطلحات (التصيّد، والارتباط، والتحميل، والمدونات، والحوسبة، والتشفير، والتصميم، ...) إلخ.

وهذا ما سارت عليه مجامع اللغة العربية وفقهاؤها المعاصرون؛ فقد اجتهدوا في وضع مصطلحات عربيةٍ لكثير من المستجدّات والحوادث، حتى أضحت مصطلحاتٍ يتعامل بها الناس وزادت في ثراء اللغة.

إن قوة اللغة وجمالها في ثبات أصلها وتجدد فروعها:

وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظًا وَغايَةً
وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ
وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ

خواطر التائهين

أ. أحمد محمد رمضان حمشو

يرتفع الدولار، فيرتفعُ معه كل شيء إلا قيمة الإنسان، نبأ عظيم يجرُّ خلفه رزايا. تتصاعد الأسعار، يستبد الغلاء الفاحش، يتمكن الهمُّ من الفقراء والعمال، فهم لا يستطيعون سبيلًا.

يمشي الفقير في الأسواق مراقبًا، فما يحمله من مال لا يطعم طفلًا صغيرًا، فكيف بعائلة! عمل لساعات طويلة لكنه يقف عاجزًا أمام المحلات وبضائعها.

أحدث الدولار ضجيجًا، فتسلَّل إلى كلِّ مجلس، ونشر الهم في كل قلب، تربع على قمة اهتمامات الناس، فمنهم مهمومٌ بكيفية خوض معركة البحث عن لقمة العيش وقد أثخنته الجراح، ومنهم فرح مفكر كيف سيجني الأرباح الفاحشة، وقد يتجرَّد من القيم والمبادئ لأجل ذلك. نفوس لا تشبع من قلة، ونفوس لا تشبع من جشع، ينعي الفقير الإنسانية، ويفتقد الرحمة من بني جلدته.

هموم لا تعد، وكل يوم أشد من سابقه.. لكن، يشعّ التفاؤل ويبرق الأمل، فهو ﷻ يرى حالنا ويسمع دعاءَنا، ونحن عباده لن يضيّعنا إن عدنا إليه عودة صادقة، سبحانه ما أكرمه! وسعت رحمته كلَّ شيء، هو الرزّاق الوهّاب العليم الخبير. نطلب منه وحده، نثق به، نتوكل عليه، ونحسن الظن به.

الأعضاء الجارحة والآثار الماحية

أ.محمد جمعة

الإنسان بطبيعته مقارفٌ للمعاصي تملؤه العيوب، ولا بد للمسلم من توبةٍ تمحو الذنوب، ومن أجل ذلك جعل الله للعبد سُبُلًا كثيرةً لتكفير الذنوب ومحوها، ومنها ما اختصَّ به أعضاءه الجارحة من أعمال تكون آثارُها لذنوبه ماحية.

فاختصَّ الله تعالى اللسانَ بالذكر من تسبيحٍ وتحميدٍ وتهليلٍ واستغفار، واليدين بالصدقة التي تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والقدمين بالسعي والخُطا إلى بيوت الله وأوجه الخير من إصلاح بين الناس وصلة رحم، ثمَّ تفضل الله على عباده بالوضوء ليكون مطهِّرًا لما اقترفته جميع جوارحُه من خطايا، نظرًا كانت أو استماعًا أو سعيًا إلى حرام.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك فقال: (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره) أخرجه مسلم.

والعمل الصالح بالعموم مكفِّر للسيئات، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ وذكر له معصية فعلها، فتلا عليه قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ألِه وحده أم للناس كافّة؟ فقال: (بل للناس كافّة) رواه مسلم.

مَثنى وفُرادى

د.خير الله طالب

في جنح الظلام يتسلل كبراء المشركين (فرادى) يستمعون القرآن من أبي بكر الصديق ﷺ، (فتجمعهم) أزقّة مكة، فيتعاتبون على ذلك الاستماع، ثم يعاودونه مرارًا، وأخيرًا يتعاهدون على ترك المعاودة قبل أن يشعر بهم نساؤهم وصبيانهم. وتروي كتب السيرة مواقف صادقة (لأفرادهم) حينما تأسر أحدهم روعة القرآن، فإذا اجتمعوا (جميعًا) غلبهم الموقف الجماعي فتواطؤوا على الباطل، رغم ما حدث لنفوسهم من لين تجاه الحق حينما كانوا (فرادى) أو (مثنى). وما حالُ أبي طالب عند موته ببعيد، حينما كان يُدرك الحقيقة في نفسه، لكنه خضع لرغبة المجموع، فحُرم الهداية.

لهؤلاء ولكل مفتقر إلى هداية كلية أو جزئية جاءت الموعظة بأمر يُقرِّب النفس من الحقيقة بإزالة المشوشات وتهيئة الحال للنظر والتفكير الصحيح العميق الموصل إلى الهداية والصواب في القضايا الكبرى والمصيرية، فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦].

وقد كانت هذه الدعوة القرآنية تربية مبكرة على الخروج من حالة إغلاق العقل والصدود، أو الجدل العقيم، إلى قضية واحدة مركزية محددة، وإخضاعها للتفكير الصادق (الفردي) أو (الثنائي).

دعوة لها صورتان تتساندان وتتكاملان: (مثنى) و (فرادى)، تؤدي إلى إبصار الحقيقة واتباع الحق، وتقوم على عملية اتصال بين عقل الإنسان ونفسه، أو بين عقله وعقل جليسه، دون مقاطعات أو مشوشات.

* **(فرادى):** كتاب الله زاخر بتوجيه بوصلة الفرد إلى نفسه والعناية بذاته وباطنه، والتفكر في نشأته وخلقه ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، وفي رزقه وقوته ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾، وفي عمله وكسبه ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، وفي المآل الذي سيصير إليه ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، الأمر الذي يستلزم الوقوف مع النفس في الخلوات ومواجهة حيلها وخدعها وتصنعها أمام الناس، وإلزامها السبيل، فكم من متصنع إذا واجه نفسه بدت له حقيقتها الضعيفة الخائفة المفتقرة إلى من يهديها ويدلها على الطريق.

* **(مثنى):** لأن تذاكر المرء مع غيره أعون على الفهم وعلى فتح آفاق جديدة للعلم والتفكر، والمراد من التفكر مثنى: «دفع عوائق الوصول إلى الحقّ بالنّظر الصّحيح الّذي لا يغالط فيه صاحب هوًى ولا شبهةٍ ولا يخشى فيه النّاظر تشنيعًا ولا سمعةً، فإنّ الجماهير إذا اجتمعت لم يخل مجتمعهم من ذي هوًى وذي شبهةٍ وذي مكرٍ وذي انتفاعٍ، وهؤلاء- بما يلازم نواياهم من الخبث- تُصحبهم جرأةٌ لا تترك فيهم وازعًا عن الباطل ولا صدًّا عن الاختلاق والتّحريف للأقوال بعمدٍ أو خطأٍ، ولا حياءً يهذّب من حدّتهم في الخصام والأذى، ثمّ يطيرون بالقالة وأعمال أهل السّفالة.

فللسّلامة من هذه العوائق والتّخلّص من تلك البوائق الصّادّة عن طريق الحقّ قيل هنا: مثنى وفرادى، فإنّ المرء إذا خلا بنفسه عند التّأمّل لم يرض لها بغير النّصح، وإذا خلا ثاني اثنين فهو إنّما يختار ثانيه أعلق أصحابه به وأقربهم منه رأيًا فسلم كلاهما من غشّ صاحبه»[1].

* **(مثنى وفرادى):** بوابتان مفتوحتان للمصلحين الجادين لمعالجة الأسئلة الكبرى المتعلقة بواقع الضعف والمدافعة، والنهوض لأجل إقامة الدين واجتناب الفرقة فيه، بعيدًا عن فتنة الكثرة وضجيجها، وصخب وسائل التواصل، وأحاديث المنتديات، وضيق نطاق المجالس والمحافل.

فإذا ما أردنا النهوض والريادة فأهم بداية للطريق: تلك الهمسات الصادقة التي تتردد في جنبات النفس، ومع عقلاء منصفين، لا تأسرهم نظرياتهم، ولا يُعجبون بطروحاتهم، ولا يشغلون الناس بغير ما أشغلهم به الوحي المطهر، يتلمسون أطراف الحقيقة وخيوط النور في نفق التيه.

على أن تكون تلك الأحاديث جادة، تبتغي مرضاة الرحمن وعزَّ الإسلام ونجاة النفوس، لا مكان فيها لرضى الخلق ومحاباتهم، ولا تنظر إلى عز النفوس وتحصيل حطام الدنيا وملذاتها.

هي دعوة إلى تحرير الموقف الشخصي من الأهواء الخفية والظاهرة، لتتهيأ لبلورة القناعات المتجردة، وحمل المسؤولية المبنية عليها. وسيجد حينها المرء باب الطلب من ربه لا يغلق، والمنح الربانية لا تتوقف.

وإن لحظات الصفاء (الفردية) و(الثنائية) التي تتحرك فيها فطرة الإنسان، فتبدو له الحقائق جلية، وتجعله أمام المسؤولية.. لهي الفرصة النادرة لأخذ القرار في قضايا مصيرية ومفصلية دون تأثير من البيئة المحيطة أو أسرٍ من الرأي السائد أو العادة المتأصلة.

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٣٣).

رواء

ترحب مجلة رواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

كما ترحب المجلة بخواطركم القصيرة ضمن زاوية (بأقلام القراء)

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

صدر من مجلة رواء

rawaamagazine.com

rawaamagazine